حقيقة الخلاف بين أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وعائشة والزبير وطلحة رضي الله عنهم عام الجمل

دراسة تاريخية تحليلية على ضوء الروايات الصحيحة

الدكتور:
محمد بن إبراهيم أبا الخيل*

* بكالوريوس من كلية العلوم العربية والاجتماعية بالقصيم عام ١٤٠٤هـ .
- ماجستير في التاريخ الإسلامي من كلية العلوم الاجتماعية بالرياض عام ١٤٠٩هـ .
- دكتوراه في التاريخ الإسلامي من الكلية نفسها عام ١٤١٨هـ .
- يعمل الآن أستاذاً مساعداً في كلية العلوم العربية والاجتماعية بالقصيم.

المقدمة :

تعرضت سيرة طائفة من أصحاب رسول الله ﷺ للمز والطعن في كثير من الكتابات التاريخية والأدبية والعقدية والفكرية وغيرها ، ولم يكن هذا الضرب من التشويه والتزييف في تاريخ هؤلاء الصحابة وليد العصر الحديث ، بل ابتدأ منذ بداية تدوين تاريخ المسلمين ، ذلك أن قطاعاً عريضاً من تراثنا التاريخي المبكر المكتوب رواه أو دونه جماعة من الرواة والإخباريين غير الموثقين ؛ إما لكونهم من المعروفين بالتساهل وعدم الضبط ، أو لكونهم من أصحاب العقائد المنحرفة أو الهدامة . وقد استمر اللاحقون ينقلون ويقتبسون من روايات السابقين وكتاباتهم حتى زماننا ؛ كل يأخذ حسب منهجه في الكتابة عن ذلك العصر ، أو طبقاً لما يناسب توجهه وفكره وهدفه . وعلى ضوء كثير من هذه الكتابات ظهر بعض الصحابة في جوانب من حياتهم بغير الحقيقة التي

كانوا عليها ، وانقلبت الصورة الوضيئة المشرقة التي نعرفها عنهم إلى صورة قاتمة مشوهة . ومن القضايا التاريخية التي تناولها مؤرخون وكتاب قدامى ومحدثون أظهروا فيها علاقة عدد من كبار الصحابة بعضهم ببعض على غير حقيقتها: خلافُ أميرِ المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه مع أم المؤمنين عائشة وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام رضي الله عنهم الذي لم يمتد سوى مدة وجيزة ، ابتدأ بُعيد البيعة لعلي رضي الله عنه بالخلافة ، وانتهى بوقعة الجمل ، وذلك خلال النصف الأول من سنة ٣٦هـ ، حيث يخرج القارئ لكلام هؤلاء المؤرخين والكتاب بتصور عن أولئك الأصحاب بأن بعضهم يحقد على بعض ، ويتربص بعضهم ببعض ، ويكيد الواحد منهم للآخر ، ويتنافسون على السلطة والمال .

وإذا كانت هذه الصورة المشوهة لذلك الخلاف هي الغالبة في سياق القسم الأكبر من روايات المصادر ومن ثم المراجع الحديثة التي استندت عليها، فإنه في المقابل بين ركام هذه الروايات ثمة روايات متفرقة وقد تكون مختصرة - كثير منها صحيح الإسناد - تعطي صورة معقولة لما جرى من خلاف بين أولئك النفر من الصحابة تتوافق إلى حد يكاد يكون مطابقاً للذي يظن بهم من حيث تقيدهم أكثر من غيرهم بأحكام الإسلام وآدابه ، وترفعهم عن سفاسف الأمور وصغائرها ، واجتهادهم فيما يرون أنه الحق ، وحسن تعاملهم مع بعضهم بعضاً . وعملنا في هذه الدراسة منطلق من جمع تلك الروايات الأخيرة ، وتحليل نصوصها ، وربط بعضها ببعض للخروج بعرض واقعي ، أو أقرب إلى الواقعية عن فصول ذلك الخلاف . ولتكون دراستنا كاشفة للموضوع من جميع جوانبه فقد قسمناها إلى نقاط ثلاث : الأولى تطرقنا فيها إلى نشأة الخلاف بين علي رضي الله عنه وأصحاب الجمل عائشة وطلحة والزبير رضي الله عنهم. والثانية عرضنا فيها صورة ذلك الخلاف في كثير

من كتابات المحدثين ، وقد حرصنا - قدر الطاقة - على كشف مصادر تلك الكتابات، ثم عملنا على تقويمها حسب المنهج العلمي، وكنا قبل ذلك قد صدرنا هذه النقطة بذكر أهم الضوابط التي يلزم الباحث مراعاتها عند دراسة أحداث تلك الحقبة التاريخية. أما الثالثة فقد سقنا فيها على ضوء الروايات الصحيحة مسلسل الخلاف بين علي رضي الله عنه وأصحاب الجمل منذ خروجهم من مكة حتى نهاية معركة الجمل .

إن بيان ما جرى بين هؤلاء الصحابة رضي الله عنهم كما روته الروايات الصحيحة لا كما صورته الروايات الضعيفة والساقطة يعد من واجبات الباحثين المنصفين الذين يهدفون في بحوثهم إلى الوصول إلى الحق ، ويتضاعف هذا الواجب حين ترى أن غالب كتابات المحدثين - وكثير منها متداول بين القراء - قد عرضت فصول ذلك الخلاف بخلاف حقيقته . ثم إن دراسة هذا الموضوع كما ساقته الروايات الصحيحة فرصة لمعرفة منهج الصحابة في قول الحق الذي يدينون الله تعالى به ، ومن ثم اجتهادهم في العمل لإنفاذه، وفي الطرف الآخر الاطلاع على منهج الخليفة الراشد علي رضي الله عنه في التعامل مع هؤلاء المخالفين له . كل ذلك من خلال واقع عملي حكته لنا الحوادث التاريخية .

وغني عن القول إننا في سبيل الكتابة عن هذا الموضوع رجعنا إلى كثير من المصادر القديمة ، فمن المصادر التي استفدنا منها بشكل أساس مجموعة من كتب السنة أبرزها: المصنف لابن أبي شيبة ، والمستدرك للحاكم ، وفتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر ، وقد كان هذا الكتاب الأخير المرجع المهم في دراستنا ، إذ جمع مؤلفه في مواضع متفرقة روايات كثيرة تخص موضوعنا ، وفوق ذلك خَرَّجَ كثيراً منها ، وحكم عليها بالصحة أو الضعف . ومن المصادر التي أفادتنا طائفة من الكتب التاريخية من أبرزها: أنساب الأشراف للبلاذري، وتاريخ الأمم والملوك

للطبري. كما استفدنا فائدة كبيرة مما جاء في بعض الدراسات الحديثة ، لاسيما في عدد من الرسائل الجامعية المنشورة وغير المنشورة التي عني أصحابها بتحقيق الروايات على منهج أهل الحديث . ومن أهم هذه الدراسات الحديثة كتاب «عصر الخلافة الراشدة» للدكتور أكرم ضياء العمري ، و «الدولة الأموية» للدكتور يوسف العش ، و«دور المرأة السياسي في عهد النبي ﷺ والخلفاء الراشدين» لأسماء محمد زيادة ، و«استشهاد عثمان رضي الله عنه» للدكتور خالد بن محمد الغيث ، و «خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه» لعبد الحميد بن علي فقيهي .

أسأل الله تعالى أن يكون التوفيق حالفني في الإلمام بالموضوع ، وعرضه عرضاً يوافق أو يقارب الحقيقة التي كان عليها أصحاب رسول الله ﷺ ، كما أسأله سبحانه أن يكون ما كتبته عن هؤلاء الصحابة الكرام جرعة دافعة إلى المزيد من محبتهم والتأسي بهم، واقتفاء أثرهم . حشرنا الله في زمرتهم ، وجمعنا بهم في جنات النعيم ، إنه سميع مجيب .

نشأة الخلاف بين علي رضي الله عنه وعائشة وطلحة والزبير رضي الله عنهم :

عقب استشهاد عثمان رضي الله عنه ومبايعة علي رضي الله عنه بالخلافة من بعده دخل المسلمون في أزمة جديدة ، وقد تمثلت هذه الأزمة في الموقف من قتلة عثمان رضي الله عنه ؛ فالصحابة جميعاً ومن تابعهم متفقون على وجوب تعقب هؤلاء القتلة الذين انتهكوا حرمة مدينة الرسول ﷺ ، وتجرأوا على سفك دم الخليفة، لكنهم تباينوا في آرائهم، واختلفوا في اجتهاداتهم حول الوقت الأمثل ، والأسلوب الأفضل للاقتصاص من أولئك القتلة ، فتشكل عندئذ اتجاهان : **الأول** يرى أن أول عمل يجب على الخليفة الجديد علي بن أبي طالب رضي الله عنه مباشرته هو إيقاع القصاص بهؤلاء المجرمين الذين قتلوا الخليفة الشهيد عثمان رضي الله عنه ، وهذا الاتجاه يمثله منذ البداية جماعة من

الصحابة كمعاوية بن أبي سفيان ، وعبادة بن الصامت ، وأبي الدرداء ، وأبي أمامة ، وعمرو بن عَبَسَة رضي الله عنهم أجمعين ، وجماعة من التابعين كأبي مسلم الخولاني ، وعبد الرحمن بن غَنْم ، وشَريك بن خُباشة[1] . أما **الاتجاه الثاني** فيرى أن العمل الأول الذي ينبغي أن توجه له الجهود هو توحيد كلمة المسلمين ، وتأليف قلوبهم ، ورص صفوفهم ، وتوطيد الأمن الذي كاد أن يفقد ، ثم يأتي بعد ذلك النظر في تنفيذ القصاص من أولئك القتلة ؛ لأن الأمر يحتاج إلى تحقيق دقيق ، فالقتلة غير معروفين بأعيانهم ، وبعضهم قد هرب من المدينة عقب قتل الخليفة مباشرة ، فالاستعجال حينئذ في تنفيذ القصاص - والحالة هذه - سيؤدي لا محالة إلى حرب طاحنة يذهب فيها كثير من الأبرياء[2] ، ويمثل هذا الاتجاه خليفة المسلمين الجديد علي بن أبي طالب رضي الله عنه وشطر كبير من أهل الأمصار[3] . ولا ريب أن أصحاب الاتجاه الأول قد بنوا وجهة نظرهم - وهم بعيدون عن المدينة - وفق ما وصلتهم من أخبار يحتمل فيها المبالغة وعدم الإحاطة الكاملة بما جرى أو يجري من أحداث في موقع الحدث ، بينما أصحاب الاتجاه الثاني قد انطلقوا في وجهة نظرهم من وسط الحدث وتداعياته ، على أَنَّ من يكون في وسط الحدث قد يحجب عنه بعض ما يحدث ، كما أن من يكون بعيداً عن الحدث قد تصله معلومات من مصادر متعددة ، فيكون حكمه أقوى من الآخر .

---

(١) ابن كثير . خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه «من كتاب **البداية والنهاية**» ؛ ترتيب وتهذيب محمد ابن صامل السلمي .- ط١ .- الرياض : دار الوطن ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م ، ص٥٤.

(٢) محمد أمحزون . **تحقيق مواقف الصحابة من الفتنة من روايات الإمام الطبري والمحدثين** .- ط١ .- الرياض : دار طيبة ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م ، ج٢ ، ص١٣٧ .

(٣) خالد بن محمد الغيث . **استشهاد عثمان رضي الله عنه ووقعة الجمل في مرويات سيف بن عمر في تاريخ الطبري** .- ط١ .- جدة : دار الأندلس الخضراء ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م ، ص١٥٨ .

ومهما يكن من أمر فقد نشأ هذان الاتجاهان المتباينان حول مسألة القصاص من قتلة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ منذ أول يوم من خلافة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فانقسم المسلمون إلى فئتين، وبمرور الأيام ، وحين مضت أربعة أشهر نشأ تياران آخران : الأول ينادي بالإصلاح بين المسلمين ، ويرى أن من أهم مقومات هذا الإصلاح القيام بمعاقبة قتلة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان يقود هذا التيار أم المؤمنين عائشة والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله رضي الله عنهم أجمعين[1]. أما التيار الآخر فقد رأى أن ما يحصل بين المسلمين فتنة، فآثر اعتزالها، وعدم الدخول في شيء من تبعاتها ، وهذا التيار كانت نشأته - فيما يبدو - في الأيام الأولى من خلافة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، لكن حضوره في الساحة لم يصبح ظاهراً ، وأثره في الناس لم يمسِ فاعلاً إلا حينما تطور الاختلاف بين المختلفين إلى المواجهة الكلامية ، ومن ثم الانزلاق إلى الحلول غير السلمية ، وتيار المعتزلين هذا تبناه قطاع واسع من الصحابة رضي الله عنهم[2]، فقد روي - بإسناد صحيح - عن محمد بن سيرين أنه قال «هاجت الفتنة وأصحاب رسول الله ﷺ عشرات الألوف فلم يحضرها منهم مئة ، بل لم يبلغوا ثلاثين»[3]. ومن أشهر الصحابة الذين تبنوا هذا الموقف سعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمر، ومحمد بن مسلمة، وأسامة بن زيد، وأبو بكرة[4]، وأبو موسى الأشعري، وأبو مسعود البدري[5]،

---

(١) الطبري . **تاريخ الأمم والملوك** ؛ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ·- بيروت : دار سويدان ، ج٤ ، ص ٤٥٢ ، ٤٦٢ . وسيأتي تحقيق ذلك بالتفصيل فيما بعد إن شاء الله تعالى .

(٢) ابن تيمية. **منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية**؛ تحقيق محمد رشاد سالم·- ط١·- الرياض : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ج٦، ص٢٣٦، ٢٣٣.

(٣) ابن كثير . **خلافة علي بن أبي طالب** ، ص٨٤ . قارن ابن تيمية . **منهاج السنة** ، ج٦ ، ص٢٣٦ .

(٤) ابن حجر . **فتح الباري شرح صحيح البخاري** ·- بيروت: دار المعرفة ، ج١٢، ص٣١، ٣٣، ٦٧ .

(٥) الحاكم . **المستدرك على الصحيحين** ؛ تحقيق حمدي الدمرداش محمد ·- ط١ ·- مكة : مكتبة مصطفى الباز ، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠ م ، ج٥ ، ص ١٧٣٢ .

وأُهبان بن صيفي رضي الله عن الجميع[1]. وقد وصلتنا أقوال لبعضهم وَضَّحوا فيها وجهة نظرهم في تلك الفتنة ، قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه حين دعي لحمل السلاح وقتذاك «لا أقاتل حتى يأتوني بسيف له عينان ولسان وشفتان ، يعرف الكافر من المؤمن ؛ قد جاهدت وأنا أعرف الجهاد ...»[2]. وثبت أن أسامة بن زيد رضي الله عنه بعث لعلي رضي الله عنه يقول له « لو كنت في شدق الأسد لأحببت أن أكون معك فيه ، ولكن هذا أمر لم أره»[3]. وقال محمد بن مسلمة رضي الله عنه حين سأله علي رضي الله عنه عن سبب تخلفه عنه - كما ورد بسند حسن - قال «دفع إلي ابن عمك - يعني النبي صلى الله عليه وسلم - سيفاً ، فقال : قاتل به ما قوتل العدو ، فإذا رأيت الناس يقتل بعضهم بعضاً فاعمد به إلى صخرة فاضربه بها، ثم الزم بيتك حتى تأتيك منية قاضية، أو يد خاطئة»[4]. وقد روي بسند حسن أن أُهبان بن صيفي رضي الله عنه حين دعاه علي رضي الله عنه إلى الخروج معه قال له «إن خليلي وابن عمك عهد إلي ؛ إذا اختلف الناس أن أتخذ سيفاً من

(١) المباركفوري. **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي**؛ تحقيق علي معوض وعادل عبد الموجود.- ط١.- بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م ، ج٦ ، ص٤٤٦ . وانظر عثمان الخميس . **حقبة من التاريخ** .- ط١ .- الكويت: مركز الثقافة الإسلامية ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م ، ص ٨٣ .

(٢) الحاكم . **المستدرك** ، ج٨ ، ص ٣٩٧٤ . وقال . «حديث صحيح على شرط الشيخين». وقال الذهبي . «على شرط البخاري ومسلم» (المصدر نفسه ، الصفحة نفسها) .

(٣) البخاري . **الصحيح** ؛ تحقيق مصطفى البغا .- ط٥ .- دمشق ، بيروت : دار ابن كثير، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م ، ج٦ ، ص ٢٦٠٢ .

(٤) أحمد . **مسند الإمام أحمد بن حنبل**؛ إعداد علي حسن الطويل؛ إشراف سمير طه المجذوب.- ط١.- بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م ، ج٤ ، ص ٢٢٥ ؛ ابن عساكر . **تاريخ مدينة دمشق** ؛ تحقيق عمر بن غرامة العمروي .- بيروت : دار الفكر ، ١٩٩٥م ، ج٥٥ ، ص ٤٨٢ ؛ الألباني . سلسلة الأحاديث الصحيحة .- ط٢ .- الرياض : مكتبة المعارف ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م ، ج٣ ، ص ٣٦٩.

خشب ، فقد اتخذته ، فإن شئت خرجت به معك ، ... فتركه»[1]. قال الحاكم[2] «فبهذه الأسباب وما جانسها كان اعتزال من اعتزل عن القتال مع علي رضي الله عنه ...» .

وهكذا رأينا أن المسلمين منذ غرة خلافة علي رضي الله عنه دخلوا في خلاف حاد حول وقت القصاص من قتلة الخليفة الشهيد وأسلوبه بعد اتفاقهم على وجوب إنفاذه فيهم ، فكانوا في البداية حزبين : حزب يرى وجوب تنفيذ القصاص على الفور مهما كانت الظروف ، وحزب يرى أن تنفيذه على الفور متعذر ، ويحتاج الأمر إلى تروٍ وحكمة لمعرفة المجرمين ، وذلك حين تهدأ الأحوال ، ويحل الأمن . ثم نشأ بعد أشهر قليلة حزبان آخران، الأول سعى للإصلاح ، ويميل في الوقت ذاته إلى الحزب الذي يطالب بتنفيذ القصاص دون تأخير ، بينما الحزب الرابع آثر اعتزال الجميع ، ودعا إلى عدم الخوض في هذا الخلاف .

صورة الخلاف بين علي رضي الله عنه وأصحاب الجمل رضي الله عنهم في كثير من الدراسات الحديثة :

إن المتتبع لأحداث عصر الخلفاء الراشدين بموضوعية ، يرى أنه ليس ثمة خلاف بين علي رضي الله عنه وعائشة وطلحة والزبير رضي الله عنهم قبل ولاية علي رضي الله عنه للخلافة، وقد رأينا قبل قليل أن الخلاف لم يظهر بشكل مكشوف إلا بعد مرور أربعة أشهر تقريباً من البيعة له بالخلافة، ثم استمر أياماً أو قل شهراً أو أكثر بقليل فانتهى بوقعة الجمل . ولذا فإن أخبار هذه الحقبة الزمنية الوجيزة التي تمثل خروج الأربعة من الحجاز إلى العراق، ثم لقاءهم في البصرة، ثم حدوث وقعة الجمل هي حجر

(١) الترمذي . **السنن** (مع تحفة الأحوذي) ، ج٦ ، ص ٤٤٦ ؛ الألباني . **سلسلة الأحاديث الصحيحة** ، ج٣، ص٣٦٨ .

(٢) **المستدرك** ، ج٥ ، ص ١٧٣٣ .

الزاوية في معلوماتنا لدراسة الموضوع . ولقد تطرق جماهير من المؤرخين والكُتَّاب حديثاً لمسألة الخلاف بين علي رضي الله عنه وأصحاب الجمل ، سواء في كتابات ذات طابع تاريخي موضوعها يخص خلافة علي رضي الله عنه ، أو عصر الخلفاء الراشدين عموماً ، أو في كتابات ذات طابع فكري تتصل بموضوع الإمامة والخلافة ، أو في موضوعات ترصد التطورات الفكرية ، أوالتغيرات الاجتماعية في تاريخ المسلمين المبكر . ويلاحظ أن طائفة عريضة من هؤلاء المؤرخين والكتاب بنوا عرضهم لتاريخ هذه الحقبة ، أوتحليلاتهم لأحداثها على روايات من المصادر التاريخية القديمة ، كل أخذ منها حسب توجهه أو منهجه في معالجته هذا لخلاف . وثمة فرقة من هذه الطائفة استندت على الروايات التاريخية، لكنها عند معالجتها هذا الخلاف شرقت وغربت، وأغرقت في الخيال بعيداً عن الحقيقة التاريخية ، دع عنك بعدها عن روح ذلك العصر وسماته التي ميزته عن غيره من العصور . وقبل الاطلاع على تصوير هذه الطائفة من المؤرخين والكتاب لمسألة خلاف علي رضي الله عنه مع عائشة وطلحة والزبير رضي الله عنهم يحسن التذكير بأهم قاعدتين يُلزمنا المنهج العلمي الإسلامي التقيد بهما عند تناول تاريخ هذا العصر من تاريخ المسلمين بالدراسة، لا سيما ما حصل بين الصحابة من خلاف ؛ **القاعدة الأولى**: وجوب التثبت من الأخبار باستخدام طريقة المحدثين في فحص أسانيد الروايات، ومن ثم الحكم عليها بالصحة أو عدمها، ويسمي بعضهم هذه العملية بالنقد الظاهري أو الخارجي للرواية . ومن حسن الحظ أن طائفة كبيرة من أخبار تلك الحقبة وصلت إلينا عن طريق سلاسل الإسناد، شطر منها جاء في كتب السنة ، وشطر آخر وهو الأكثر جاء في كتب التاريخ وغيرها ، ومن أهم المصادر التاريخية التي سجلت معظم تاريخ تلك الحقبة بالإسناد تاريخ

خليفة بن خياط[1] (ت ٢٤٠هـ) ، وأنساب الأشراف للبلاذري (٢٧٩هـ) ، وتاريخ الأمم والملوك للطبري (ت ٣١٠هـ) ، وجمهور المؤرخين الذين جاءوا بعدهم نقلوا عنهم بعد أن حذف غالبهم سلسلة الأسانيد . ومن الملفت للنظر أن كثيراً من الكتاب والمؤرخين المحدثين يرجعون إلى هذه المصادر التاريخية ، وينقلون منها أو يحيلون عليها دون أن يأبهوا بهوية رواة الأخبار الذين جاءت أسماؤهم مسلسلة في صدر الروايات . أما **القاعدة الثانية** التي ينبغي التقيد بها عند دراسة تاريخ هذه الحقبة فهي مراعاة عدالة الصحابة ، وإنزالهم المنزلة اللائقة بهم ، وهذا لا يدركه ولا ينفعل له ولا يحيط بمداه وحدوده إلا المسلم المتمثل لعقيدته الإسلامية ، المتشبع بروحها ، الملتزم بأحكامها ، ذاك أن عدالة الصحابة - كما يقول الخطيب البغدادي[2] - «ثابتة معلومة بتعديل الله لهم، وإخباره عن طهارتهم، واختياره لهم في نص القرآن... في آيات يكثر إيرادها ، ويطول تعدادها[3]. ووَصَفَ رسولُ الله ﷺ الصحابةَ مثل ذلك ،

---

(١) يلاحظ أن خليفة بن خياط أورد في تاريخه هذا مادة تاريخية واسعة دون أسانيد ، ولكنه عند ذكر الأحداث التي تحتاج أخبارها إلى تدقيق وتمحيص كالفتنة في أواخر عصر الخلفاء الراشدين التي يقع موضوع دراستنا ضمنها - نراه يهتم كثيراً بالإسناد ، كما نراه يعتمد فيها على المحدثين بالدرجة الأولى (خليفة بن خياط . **تاريخه**؛ تحقيق أكرم ضياء العمري ·- ط٢·- بيروت : دار القلم - مؤسسة الرسالة، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م ، ص ١٥- ١٦)

(٢) **الكفاية في معرفة أصول علم الرواية** ؛ تحقيق إبرهيم بن مصطفى الدمياطي·- ط١ ·- مصر : دار الهدى ، ميت غمر ، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م ، ج١ ، ص ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٦ - ١٨٧ .

(٣) ومن هذه الآيات قول الله جل وعز ﴿**مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ**﴾... الآية «الفتح : الآية ٢٩) قال ابن عطية في قوله تعالى ﴿**وَالَّذِينَ مَعَهُ**﴾ أن ذلك «إشارة إلى جميع الصحابة عند الجمهور» (**المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** ؛ تحقيق المجلس العلمي بتارودانت ، ط. المغرب ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م ، ج١٥ ، ص١٢٣) ومن الآيات قوله سبحانه ﴿**لَقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ**﴾ «التوبة: ==

وأطنب في تعظيمهم ، وأحسن الثناء عليهم[1] ... وجميع ذلك يقتضي طهارة الصحابة ، والقطع على تعديلهم ونزاهتهم ، فلا يحتاج أحد منهم مع تعديل الله تعالى لهم المطلع على بواطنهم إلى تعديل أحد من الخلق لهم ، فهم على هذه الصفة إلا أن يثبت على أحد ارتكاب ما لا يحتمل إلا قصد المعصية، والخروج من باب التأويل، فيحكم بسقوط عدالته ، وقد برأهم الله تعالى من ذلك ، ورفع أقدارهم عنده، على أنه لو لم يرد من الله عز وجل ورسوله فيهم شيء مما ذكرناه لأوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة والجهاد والنصرة، وبذل المهج والأموال ، وقتل الآباء والأولاد، والمناصحة في الدين ، وقوة الإيمان واليقين - القطع على عدالتهم ، والاعتقاد لنزاهتهم ، وأنهم أفضل من جميع المعدلين والمزكين الذين يجيئون من بعدهم أبد الآبدين . هذا مذهب كافة العلماء ومن يعتد بقوله من الفقهاء» . وبالإضافة إلى ذلك فالصحابة رضي الله عنهم هم حفظة هذا الدين بعد رسول الله ﷺ ، وقد حملوه غضاً طرياً فنشروه بأمانة وإخلاص بين الناس في الآفاق . وعلى هذا فمقامهم بين المسلمين مقام عالٍ، ومنزلتهم منزلة رفيعة، فإذا كان المسلم مطالباً طبقاً لتعاليم دينه أن يحسن الظن بعامة المسلمين ، ولا يظن بهم إلا الخير ، ويأخذ

== الآية ١١٧) «وقد حضر غزوة تبوك جميع من كان موجوداً من الصحابة إلا من عذر الله من النساء والعجزة ، أما الثلاثة الذين خلفوا فقد نزلت توبتهم بعد ذلك» (محمد بن عبد الله الوهيبي . **اعتقاد أهل السنة في الصحابة** ٠- لندن : المنتدى الإسلامي ، ص١٩) .

(١) ومن ذلك قوله ﷺ في حديث عمران بن حصين رضي الله عنه «خير أمتي قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ... الحديث» (البخاري . الصحيح ، ج٣ ، ص ١٣٣٥) وانظر مسلم . **الصحيح** ؛ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ٠- ط٢ ٠- بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ١٩٧٢م ، ج٤ ، ص ١٩٦٢ - ١٩٦٥ . وفي خطبة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه في الجابية ذكر أن رسول الله ﷺ قال «أكرموا أصحابي فإنهم خياركم» (عبد الرزاق . المصنف ٠- ط٢ ٠- بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٤٠٣هـ ، ج١١ ، ص ٣٤١) .

أعمالهم على حسب ظواهرها ، ويحملها على أحسن المحامل - فمن باب أولى أن يتعامل مع أصحاب رسول الله ﷺ بهذا الأدب ، بل من حقهم عليه أن يعاملهم معاملة خاصة ، فلا يضعهم مثلاً في مصاف القادة السياسيين في عالمنا اليوم الذين يتقاتلون من أجل السلطة، ولا تشتط به ثقافته وخلفيته الفكرية والاجتماعية عند التحليل والتفصيل والاستنتاج إلى نسيان مقامهم ، بل يضع كل خبر عنهم في زمنه الذي وقع فيه ، وينظر في مواءمته لسابقتهم وسيرتهم وسجاياهم وأخلاقهم التي عرفوا بها . ومع هذا كله فالاعتقاد بعدالة الصحابة رضي الله عنهم وفضلهم ومكانتهم في تاريخ الإسلام لا يعني الغلو في أحد منهم ، ولا يستلزم إدعاء العصمة لهم ، «فالعدالة استقامة السيرة والدين، ويرجع حاصلها إلى هيئة راسخة في النفس تحمل على ملازمة التقوى والمروءة جميعاً ...»[1]. وبعد أن سقنا بالشرح المختصر أهم قاعدتين يجب مراعاتهما عند دراسة تاريخ ذلك العصر نعود لننظر في تصوير الخلاف بين علي رضي الله عنه وأصحاب الجمل لدى طائفة كبيرة من الكتاب والمؤرخين المحدثين. باستعراض كثير من تلك الكتابات نلاحظ أن أصحابها حينما تعرضوا لذلك الخلاف سواء في كتب خاصة أو عامة بنوا حديثهم ، وأسسوا عرضهم ، وأداروا تحليلاتهم على تهمتين ألصقوهما بأصحاب الجمل ؛ واحدة تتعلق بأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، والأخرى تتعلق بطلحة والزبير رضي الله عنهما . وقد سيطرت هاتان التهمتان على سياق كلام أولئك الكاتبين من بداية تعرضهم للخلاف حتى وقوع القتال في وقعة الجمل . وفيما يلي عرض لتلك التهمتين ، ولكن قبل عرضهما ننبه إلى أننا سنكتفي فقط بتعقب أصول الروايات التي اتكأ عليها هؤلاء في اتهامهم لأصحاب الجمل لنعرف هوية رواتها ، ومدى وزنهم في ميزان

(١) الوهيبي . **اعتقاد أهل السنة في الصحابة** ، ص ٩٣ .

الجرح والتعديل ، أما مناقشة أقوال هذه الطائفة وآرائها في ميدان عدالة الصحابة ومقامهم في الإسلام فلن نتوقف عندها ؛ لأننا قد أوضحنا ذلك آنفاً بكلام عام .

أولاً : أظهروا أن عائشة رضي الله عنها كرهت البيعة لعلي رضي الله عنه بالخلافة ، وأبدت ضيقاً شديداً من ذلك ، وقد دفعها هذا الشعور إلى الخروج إلى العراق مع طلحة والزبير رضي الله عنهما . يقول أحدهم بعد أن ذكر رجوع عائشة رضي الله عنها إلى المدينة عقب عمرتها «ولكنها لقيت في طريقها من أنبأها بحقيقة الأمر ، وبأن علياً هو الذي تمت له البيعة في المدينة ، فضاقت بذلك ضيقاً شديداً ، وأعلنت أنها كانت تؤثر انطباق السماء على الأرض قبل أن ترى علياً قد أصبح للمسلمين إماماً ، ثم قالت لمن كان معها : ردوني ، فرجعوا بها أدراجهم إلى مكة ، وكان معروفاً أن عائشة رحمها الله [كذا] لم تكن تحب علياً ولا تهواه ، بل كان معروفاً أنها تجد عليه مَوْجدة شديدة منذ حديث الإفك حين أراد أن يواسي النبي ﷺ ، فأشار عليه بأن يطلقها ، وقال له (إن النساء غيرها كثير) ، كان ذلك قبل أن ينزل الله براءتها في القرآن ، فلم تنس لعلي قوله ذاك»[1]. وقد ذهب بعضهم - استنتاجاً - أن هذا «كان من أكبر العوامل التي دعتها لمناوأته بعد ذلك ، وخروجها مع طلحة والزبير في موقعة الجمل بعد أن أثارت الرأي العام على علي باتهامه بعدم مناصرة الخليفة عثمان ضد الثائرين عليه الذين قتلوه»[2]. وبالرجوع إلى المصادر نجد أن القول الأول الزاعم ضيق عائشة رضي الله عنها بالبيعة لعلي رضي الله عنه ، وإعلانها أنها تؤثر انطباق

---

(١) طه حسين . **الفتنة الكبرى** (علي وبنوه) ، نشر ضمن كتاب (إسلاميات طه حسين) ، ط. دار العلم للملايين ، ص ٨٥٤ -٨٥٥ . وانظر عبد الوهاب النجار . **الخلفاء الراشدون** ٠- بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م ، ص٣٨١ ؛ هشام جعيط . **الفتنة جدلية الدين والسياسة في الإسلام المبكر**٠- ط٣ ، دار الطليعة ، ١٩٩٥ ، ص ١٤٦ - ١٤٧ .

(٢) زاهية قدورة . **عائشة أم المؤمنين** ٠- ط٢ ٠- بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٩٠م ، ص١٠٦.

السماء على الأرض قبل رؤيته خليفة للمسلمين - اعتمد فيه صاحبه على رواية أخرجها الطبري[1] «أن عائشة رضي الله عنها لما انتهت إلى سَرِف[2] راجعة في طريقها إلى مكة لقيها عبد بن أم كلاب - وهو عبد بن أبي سلمة ينسب إلى أمه - فقالت له: مَهْيَم[3]، قال: قتلوا عثمان رضي الله عنه فمكثوا ثمانياً، قالت: ثم صنعوا ماذا ؟ قال: أخذها أهل المدينة بالاجتماع ، فجازت بهم الأمور إلى خير مجاز؛ اجتمعوا على علي بن أبي طالب ، فقالت: والله ليت أن هذه انطبقت على هذه إن تم الأمر لصاحبك، ردوني ردوني، فانصرفت إلى مكة وهي تقول قتل والله عثمان مظلوماً ...» . وأخرج البلاذري[4] رواية قريبة منها، وفيها ذكر خبر خروج عائشة رضي الله عنها من مكة، وفيه قولها «وددت أن هذه أطبقت على هذه إن تمت الأمور لصاحبك الذي ذكرت» . ونحن لن نتتبع سلسلة رجال الإسناد في الروايتين كلهم ، ولكن يكفي أن نعرف أن في سلسلة سند رواية الطبري إخباري مشهور هو نصر بن مزاحم العطار[5]، ونصر

(١) **تاريخ الأمم والملوك** ، ج٤ ، ص ٤٥٨-٤٥٩ .

(٢) سَرِف . موضع على بعد ستة أميال من مكة على طريق المدينة (ياقوت . **معجم البلدان** ·- بيروت : دار صادر ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ، ج٣ ، ص ٢١٢) وهو من أودية مكة متوسط الطول (محمد محمد حسن شراب . **المعالم الأثيرة في السنة والسيرة** ·- ط١ ·- دمشق : دار القلم، ١٤١١هـ / ١٩٩١م ، ص ١٣٩).

(٣) مهيم . كلمة يمانية ، وتعني . ماهذا ؟ وما أمرك ؟ (العيني . **عمدة القاري شرح صحيح البخاري** ·- بيروت : إحياء التراث العربي ، ج١١ ، ص ١٦٤) .

(٤) **جمل من أنساب الأشراف** ؛ تحقيق سهيل زكار ورياض زركلي ·- ط١ ·- بيروت: دار الفكر ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م ، ج٣ ، ص١٨ .

(٥) والسند ساقه الطبري بقوله «كتب إليَّ علي بن أحمد بن الحسن العجلي أن الحسين بن نصر العطار ، قال : حدثنا أبي [يعني أباه] نصر بن مزاحم العطار قال : حدثنا سيف بن عمر عن محمد بن نويرة وطلحة بن الأعلم الحنفي . قال : وحدثنا عمر بن سعد عن أسد بن عبد الله عمن أدرك من أهل العلم...» (**تاريخ الأمم والملوك** ، ج٤ ، ص ٤٥٨) .

ابن مزاحم العطار المنقري المتوفى سنة ٢١٢ هـ تصفه كتب الرجال بأنه «رافضي جلد»[(١)]، «كان كذاباً»[(٢)]، «في حديثه اضطراب وخطأ كثير»[(٣)]. أما رواية البلاذري ففي سندها من الإخباريين المشهورين هشام الكلبي ، وأبو مخنف[(٤)] ، فالأول أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي المتوفى سنة ٢٠٤ هـ يقول عنه علماء الجرح والتعديل أنه «رافضي ليس بثقة»[(٥)]، «ليس بشيء ، كذاب ساقط»[(٦)]، «وكان غالياً في التشيع ، أخباره في الأغلوطات أشهر من أن يحتاج إلى الإغراق في وصفها»[(٧)]. والثاني أبو مخنف لوط بن يحيى الكوفي المتوفى سنة ١٥٧ هـ ، وهو في نظر العلماء المعدِلين «إخباري تالف لا يوثق به»[(٨)]، «حدث بأخبار من تقدم من السلف الصالحين ، ولا يبعد منه أن يتناولهم ، وهو شيعي محترق ، صاحب أخبارهم»[(٩)].

---

(١) ابن حجر. **لسان الميزان** ·- ط٣ ·- بيروت: مؤسسة الأعلمي، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ج٦، ص١٥٧.

(٢) ابن الجوزي . **كتاب الضعفاء والمتروكين** ؛ تحقيق عبد الله القاضي ·- ط١ ·- بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٦هـ ، ج٣ ، ص ١٦٠ .

(٣) ابن حجر . **لسان الميزان** ، ج٦، ص ١٥٧ . ومن المفيد هنا أن نشير إلى أن نصر بن مزاحم قد ألف كتباً عديدة منها كتابان في موقعتي الجمل وصفين (ابن النديم . **الفهرست** ·- بيروت: دار المعرفة، ص١٣٧).

(٤) والسند ذكره البلاذري بقوله «حدثني عباس بن هشام الكلبي ، عن أبيه [يعني هشاماً] ، عن أبي مخنف، قال : حدثني أبو يوسف الأنصاري» (جمل من أنساب الأشراف ، ج٣ ، ص ١٨) .

(٥) ابن حجر . **لسان الميزان** ، ج٦ ، ص ١٩٦ .

(٦) ابن تيمية . **منهاج السنة** ، ج٥ ، ص ٨٢ .

(٧) ابن حبان . **كتاب المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين** ؛ تحقيق محمود إبراهيم زايد·- ط١·- حلب : دار الوعي ، ١٣٩٦هـ ، ج٣ ، ص ٩١ .

(٨) الذهبي. **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**؛ تحقيق علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود ·- ط١ ·- دار الكتب العلمية ، ١٩٩٥م ، ج٥ ، ص٥٠٨ ؛ ابن حجر . **لسان الميزان** ، ج٤ ، ص٤٩٢ .

(٩) ابن عدي . **الكامل في ضعفاء الرجال** ؛ تحقيق يحيى مختار غزاوي ·- ط٣·- بيروت : دار الفكر ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م ، ج٦ ، ص ٩٣ .

بقي أن نشير إلى أن ما ذكره الكاتب وتابعه في ذلك كثيرون من أن موجدة عائشة رضي الله عنها على علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وعدم رضاها عن ولايته الخلافة يعود إلى موقفه من حادثة الإفك ، وأنها لم تنس له ذلك ، فهذا لا يوجد له أساس في المصادر ، فالمصادر لا تذكر من قريب أو بعيد حادثة الإفك ولا آثارها عند الحديث عن علي وعائشة رضي الله عنهما أيام توليه الخلافة ، وهذا يعني أنه لا وجود لما قيل عن عائشة رضي الله عنها إلا في خيال من تبنى هذا الزعم من الكتاب المحدثين[1]. وللعلم فإن حادثة الإفك كان قد مر عليها وقت تقلد علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أمور الخلافة حوالي ثلاثين عاماً، ومع ذلك - على حد زعمهم - لم تنس أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق عائشة رضي الله عنها ما قاله علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ !!. فإذا كانت رضي الله عنها قد غضبت من موقف علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في حادثة الإفك «فما كان بالغضب الذي تسود به صفحة النفوس العالية ، وما هي عليه من تغافر وود ... كان غضباً أقرب إلى العتاب منه إلى الحقد والكراهية، ليست عائشة أبداً المرأة التي يمكن أن تحقد»[2]. ثم أننا لو فرضنا أنها قد حقدت على أحد في حادثة الإفك - وحاشاها ذلك - لكان

---

(١) بل شطح طه حسين في الخيال ، واعتقد أسباباً أخرى تتعلق بنفسية عائشة رضي الله عنها تأبى النفوس السليمة أن تفترضه ، فضلاً أن تعتقده (**علي وبنوه**، ص ٨٥٥) كما راحت زاهية قدورة تتلمس الأسباب التي قال بها طه حسين وأضافت إليها أخرى تتعلق بحياة عائشة وفاطمة وعلي رضي الله عنهم أثناء حياة النبي ﷺ وبعده حتى ولاية علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الخلافة ، وقد انطلقت في استنتاج تلك الأسباب من الاعتبارات التي قد تسود حياة بعض الناس اليوم الذين لا يهتدون بهدي الله جل وعز في علاقاتهم مع بعضهم بعضاً، وقد ختمت كلامها بالقول «هذه هي الأسباب التي ظهرت في شكل خصومة انتهت بسفك كثير من الدماء في موقعة الجمل، والتي دعت إلى سوء ظن متقابل بين علي وعائشة» (**عائشة أم المؤمنين** ، ص١٧٨-١٨٢).

(٢) أسماء محمد أحمد زيادة . **دور المرأة السياسي في عهد النبي ﷺ والخلفاء الراشدين** - ط١- القاهرة : دار السلام ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م ، ص ٤٦٤ .

الأحق بذلك أن تحقد على بعض المسلمين الذين خاضوا في تلك الحادثة، بل العكس هو الصحيح، إذ نراها تسامحهم وتعطف عليهم[1]، وهذا هو الظن بها وبأمثالها.

ثانياً : إظهار بعض الكتاب المحدثين طلحة والزبير رضي الله عنهما بمظهر الناكثين لبيعة علي رضي الله عنه ، الخارجين عن طاعته ، المؤججين الحرب ضده . يقول بعضهم عن استئذان طلحة والزبير رضي الله عنهما علياً رضي الله عنه للخروج إلى مكة للعمرة بعد تمام البيعة له بالخلافة في المدينة - يقول «فخرجا إلى مكة مدعين أنهما ذاهبان إليها لأداء العمرة ، وقد أذن علي رضي الله عنه لهما بالرغم من علمه باستعداد كل منهما بنقض البيعة له ، والخروج عليه»[2]. ويقول أحدهم عن علي رضي الله عنه أنه جاءه كتاب وهو في طريقه إلى الشام «يخبره بأن طلحة والزبير نكثا ببيعتهما له، وانضمت إليهما عائشة ، وأنهم خرجوا في جموع كثيفة نحو البصرة»[3]. ولقد بلغ ببعض الكتاب أن ينسبوا إلى علي رضي الله عنه أنه كان ينعت الثلاثة ومن يؤيدهم بـ (الناكثين)[4]، ويلوم أحدهم طلحة والزبير رضي الله عنهما بأنهما بايعا عليّاً رضي الله عنه «وكان الحق عليهما أن يفيا بالعهد، ويخلصا للبيعة التي أعطياها، فإن كرها الإذعان لعلي أو معونته على

---

(١) عبد الحميد علي فقيهي . **خلافة علي بن أبي طالب** رضي الله عنه ، ماجستير غير منشورة ٠- المدينة النبوية : الجامعة الإسلامية ، ١٤١٢هـ ، ج١ ، ص ٣٦٢ .

(٢) لبيد إبراهيم أحمد، وإبراهيم نمير سيف الدين . **عصر النبوة والخلافة الراشدة**٠- ط٣ ٠- الرباط : مكتبة المعارف ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ، ص ٣٢٢ ، وانظر النجار . **الخلفاء الراشدون** ، ص ٣٧٨ .

(٣) السيد عبد العزيز سالم . **تاريخ الدولة العربية** ٠- بيروت : دار النهضة العربية ، ١٩٧١م ، ص٥٧٩ .

(٤) طه حسين . **علي وبنوه** ، ص ٨٧٧ . هشام جعيط . **الفتنة** ، ص ١٤٨ . ويتجاوز جعيط ، وينعت طلحة والزبير وعائشة بـ «الثالوث المنشق» (**الفتنة** ، ص ١٥٤) ويطلق على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في بعض المواضع «أرملة النبي» (المرجع نفسه، ص ١٤٥) .

بعض ما يريد، فقد كانا يستطيعان أن يعتزلا ... فلا ينصبا حرباً، ولا يدفعا الناس إليها، ولا يفرقا المسلمين على النحو المنكر الذي ستراه»[١]. وبالعودة إلى المصادر نلاحظ أن الذين تزعموا القول الأول قد استندوا - فيما يظهر - على ما رواه اليعقوبي[٢] في قوله «وروى بعضهم أن علياً قال لهما أو لبعض أصحابه: والله ما أرادا العمرة، ولكنهما أرادا الغدرة، فلحقا عائشة بمكة، فحرضاها على الخروج». واليعقوبي هو أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح[٣] المتوفى ٢٨٤هـ أو ٢٩٢هـ «مؤرخ شيعي إمامي»[٤]، حيث إن كتابه التاريخ، «قد طفح بما يدل على غلوه في التشيع، وانتمائه للإمامية»[٥]، ويلاحظ أنه حين أتى على تاريخ الخلفاء الراشدين لم يقر بالخلافة إلا لعلي وابنه الحسن رضي الله عنهما، أما أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم فإنه لا يعترف بخلافة أي منهم، ثم لم يتركهم، بل تناولهم بالطعن وكذلك فعل مع بقية كبار الصحابة، واستخدم في سوق التهم طريقة قومه من أهل التشيع والرفض، وذلك باختلاق الخبر من أساسه، أو بالتزيد في الخبر[٦].

أما القول الثاني الخاص بالرسالة التي وصلت إلى علي رضي الله عنه وهو في طريقه إلى الشام فمصدره كتاب الإمامة والسياسة، فبعد أن ذكر صاحب هذا الكتاب

---

(١) طه حسين. **علي وبنوه**، ص ٨٥٨. وانظر أحمد إبراهيم الشريف. **دور الحجاز في الحياة السياسية العامة في القرنين الأول والثاني للهجرة** - دار الفكر العربي، ص٣٥١.

(٢) **تاريخ اليعقوبي** - بيروت: دار صادر، ج٢، ص ١٨٠.

(٣) ياقوت. **معجم الأدباء** - بيروت: دار إحياء التراث العربي، ج٥، ص ١٥٣.

(٤) محمد بن صامل السلمي. **منهج كتابة التاريخ الإسلامي** - ط١ - دار طيبة، ١٤٠٦هـ، ص٤٢٦.

(٥) عبد العزيز محمد نور ولي. **أثر التشيع على الروايات التاريخية في القرن الأول الهجري** - ط١ - المدينة النبوية: دار الخضيري، ١٤١٧هـ، ص ٢٣٢.

(٦) السلمي. **منهج كتابة التاريخ**، ص ٤٣٠-٤٣١.

خروج علي رضي الله عنه من المدينة قال: «فلما كان في بعض الطريق أتاه كتاب أخيه عقيل ابن أبي طالب ، وفيه : بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد ، يا أخي كلأك الله ، والله جائرك من كل سوء ،وعاصمك من كل مكروه على كل حال ، وإني خرجت معتمراً فلقيت عائشة معها طلحة والزبير وذووهما ، وهم متوجهون إلى البصرة ، قد أظهروا الخلاف ، ونكثوا البيعة ، وركبوا عليك قتل عثمان ، وتبعهم على ذلك كثير من الناس من طغاتهم وأوباشهم ...»[(١)]، وكتاب الإمامة هذا ينسب خطأ إلى أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري المتوفى سنة ٢٧٦هـ ، والصحيح أن هوية مؤلفة غير معروفة ، فهو لمؤلف مجهول[(٢)]، أما عن الكتاب نفسه فنجد أن فيه «خلطاً وأخطاء في الحقائق التاريخية ، وتشويهاً لها»[(٣)]، «كما لا يخلو من المواد الخرافية والأخبار الواهية ، وناهيك أن قسماً كبيراً من رواياته جاءت بصيغة التمريض ، فكثيراً ما يجيء فيه (وذكروا عن بعض البصريين) ... (وحدثنا بعض مشايخ أهل المغرب) ...»[(٤)]، ثم إن مؤلفه «لا يهتم بالتنسيق والتنظيم ، فهو يورد الخبر ثم ينتقل إلى غيره ، ثم يعود ليتم الخبر الأول»[(٥)]. ويلاحظ عليه على حد تعبير ابن العربي[(٦)] (ت ٥٤٣هـ) إنه «لم يُبقِ ولم يذر للصحابة رسماً» . أما نحل هذا

---

(١) **الإمامة والسياسة** ؛ تحقيق محمد طه الزيني ، ط. مؤسسة الحلبي ، ج١ ، ص٥٣ .

(٢) عدنان محمد ملحم. **المؤرخون العرب والفتنة الكبرى** ٠- ط١ ٠- بيروت: دار الطليعة، ١٩٩٨م، ص٥٣.

(٣) عبد الله عسيلان . **كتاب الإمامة والسياسة في ميزان التحقيق العلمي** ٠- ط١٠- المدينة المنورة : مكتبة الدار ، ١٤٠٥هـ ، ص ١٣ .

(٤) المرجع نفسه ، ص ١٢ .

(٥) المرجع نفسه ، ص٢٧ .

(٦) **العواصم من القواصم** ؛ تحقيق محب الدين الخطيب ؛ وخرج أحاديثه محمود مهدي الإستانبولي ٠- ط١ ٠- القاهرة : دار الكتب السلفية، ١٤٠٥هـ ، ص٢٦١.

الكتاب ابن قتيبة بالذات فالظاهر أن القصد منه ترويج الكتاب بين المسلمين، ونشره في أوساطهم العلمية، وبخاصة أهل السنة، وذلك لشهرة ابن قتيبة عندهم، وثقتهم فيه[1]، وهذه وسيلة كانت الفرق المنحرفة تستخدمها في «تحريف الوقائع التاريخية، وتشويه سير رجال الصدر الأول من الصحابة والتابعين»[2]. وقد أثبت أحد الباحثين بأدلة قاطعة أن مؤلف هذا الكتاب إنما هو من الرافضة، ورجح أن يكون من رافضة المغرب بالذات[3].

أما القول الثالث الذي يدعي بأن علياً رضي الله عنه كان ينعت طلحة والزبير رضي الله عنهما وأتباعهما بالناكثين، فالأصل الذي أخذ منه أولئك الكتاب كما يظهر هو أيضاً رواية لصاحب كتاب الإمامة والسياسة الذي عرفنا حاله آنفاً، وذلك من كلام لعلي رضي الله عنه في رسالة زعم أنه بعثها إلى معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه بعد الفراغ من وقعة الجمل، ويلاحظ فوق ذلك أنه صدر روايته تلك بقوله (وذكروا) الدالة على التمريض، وسياق الرواية هو «قال وذكروا أنه لما فرغ من وقعة الجمل بايع له القوم جميعاً، وبايع له أهل العراق، واستقام له الأمر بها، فكتب إلى معاوية «أما بعد، فإن القضاء السابق، والقدر النافذ ينزل من السماء كقطر المطر، فتمضي أحكامه عز وجل، وتنفذ مشيئته بغير تحاب المخلوقين، ولا رضا الآدميين، وقد بلغك ما كان من قتل عثمان رحمه الله، وبيعة الناس عامة إياي، ومصارع **الناكثين** لي، فادخل فيما دخل الناس فيه، وإلا فأنا الذي عرفت وحولي من تعلمه، والسلام»[4].

---

(١) السلمي. **منهج كتابة التاريخ**، ص ٥٠١.

(٢) المرجع نفسه، ص ٥٠٠ - ٥٠١.

(٣) وهذا الباحث هو علي بن نفيع العلياني. **عقيدة الإمام ابن قتيبة** -. ط١ -. الطائف: مكتبة الصديق، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م، ص ٩٠ - ٩٣.

(٤) **الإمامة والسياسة**، ج١، ص ٧٦.

ومما يشد الانتباه أن صاحب هذا الكتاب طوال عرضه أحداث ما بين بيعة علي رضي الله عنه ووقعة الجمل كان هاجسه الذي لم ينفك عنه هو التأكيد على نقض طلحة والزبير رضي الله عنهما البيعة لعلي رضي الله عنه ، ونصبهما الحرب ضده ، سواء زعم ذلك على لسان علي رضي الله عنه أو على لسان أتباعه[1]. وقبل أن نترك هذه القضية نشير إلى أن ثمة حديثاً يروى عن النبي ﷺ من غير طريق عن علي وأبي سعيد وأبي أيوب (أن رسول الله ﷺ أمر علياً رضي الله عنه بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين ، وقد فسروا الناكثين بأصحاب الجمل ، والقاسطين بأهل الشام ، والمارقين بالخوارج ، ولكن الحديث من أساسه ضعيف كما يرى ابن كثير وغيره[2]، وعندئذ فلا وجه للاعتماد عليه، والأخذ به ، دع عنك النظر في تفسير ألفاظه، وتطبيقها على الوقائع التاريخية.

مسار خلاف علي رضي الله عنه مع عائشة وطلحة والزبير رضي الله عنهم حتى نهاية وقعة الجمل على ضوء الروايات الصحيحة :

كانت الأمة - حسبما أشرنا من قبل - قد اختلفت في الأسلوب الأمثل الذي يتم بموجبه معاقبة قتلة عثمان رضي الله عنه ، وقد ترتب على ذلك نشوء خلاف بين علي رضي الله عنه وجماعة من الصحابة رضي الله عنهم ، وكان طلحة والزبير رضي الله عنهما قد حلا بمكة بعد تركهما المدينة النبوية - كما فعل فئام من المسلمين - فالتقيا بأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في مكة ، وفي لقاء طلحة والزبير رضي الله عنهما

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٥٣ - ٧٣ .

(٢) **البداية والنهاية** ٠- بيروت : دار المعارف ، ج٧ ، ص ٣٦٢ . وانظر بالتفصيل عرض روايات هذا الحديث ، والحكم عليها في . المصدر نفسه ، ص ٣٠٥-٣٠٧ . وانظر أيضاً الخطيب البغدادي . **تاريخ بغداد** ٠- بيروت : دار الكتب العلمية ، ج١٣، ص ١٨٧- ١٨٨ ؛ ابن الجوزي . **العلل المتناهية** ؛ تحقيق خليل الميس ٠- ط١٠- بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٣هـ ، ج١ ، ص ١٤٧ ؛ الذهبي . **ميزان الاعتدال** ، ج١ ، ص ٤٣٦ ؛ **سير أعلام النبلاء** ؛ تحقيق شعيب الأرنؤوط ٠-ط٨- بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م ، ج٢ ، ص ٤١٠ .

مع أم المؤمنين رضي الله عنها وجماعة من المسلمين في مكة، وتشاورهم مع بعضهم بعضاً تبلور لديهم مشروع ارتأوا أنه كفيل بكفكفة أطراف هذا الخلاف، وإعادة الأمة إلى سابق وحدتها ، وماضي هيبتها ، وكان هذا المشروع يقوم على إصلاح ما بين المسلمين ، ويرى أصحابه أن أول خطوات نجاحه السعي لإقامة القصاص على قتلة الشهيد عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ويرون أن تنفيذه يتطلب الخروج من مكة إلى البلدان التي حل فيها الخلاف بين المسلمين ، وكان هذا المشروع في بعض خطواته وإجراءاته لا يتوافق مع رؤية خليفة المسلمين علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . وفيما يلي نتتبع في فقرات متتالية - مسار الخلاف بين علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأصحاب الجمل رضي الله عنهم منذ خروجهم من مكة حتى نهاية وقعة الجمل في مدينة البصرة في العراق ، وذلك على ضوء ما توافر لدينا من الروايات الصحيحة :

- لم يكن خروج أم المؤمنين عائشة والزبير وطلحة رضي الله عنهم من مكة إلى البصرة بمجرد أن بويع لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالخلافة ، ولكن خروجهم جرى بعد مضي مدة ليست بالقصيرة ، فقد ورد بسند جيد أنهم توجهوا إلى البصرة «من مكة بعد أن أهلكت السنة» (١)، ومعلوم أن علياً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تولى الخلافة في مطلع سنة ٣٦هـ ، وقد حدد الزهري تحركهم من مكة بعد أربعة أشهر من استشهاد عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٢) .

- في الطريق إلى البصرة تبين أن خروج عائشة والزبير وطلحة رضي الله عنهم كان المقصد منه إصلاح ما بين الناس ، فقد روي بسند صحيح عن قيس بن أبي حازم قال «لما أقبلت عائشة مرت ببعض مياه بني عامر ، طرقتهم ليلاً ، فسمعت نُباح الكلاب ، فقالت: أيُّ ماء هذا ؟ قالوا: ماء الحَوْأَب، قالت: ما أظنني إلا

---

(١) ابن حجر . **فتح الباري** ، ج١٢ ، ص ٥٧ .

(٢) البلاذري. **جمل من أنساب الأشراف**، ج٣ ، ص١٩؛ الطبري. **تاريخ الأمم والملوك**، ج٤، ص٤٥٢.

راجعة، قالوا: مهلاً يرحمك الله !، تقدمين فيراك المسلمون، فيصلح الله بك، قالت: ما أظنني إلا راجعة ، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : كيف بإحداكن تنبح عليها كلاب الحوأب»[1]. وفي رواية أن الزبير رضي الله عنه قال لها «ترجعين ؟ عسى الله عز وجل أن يصلح بك بين الناس»[2]. وفي رواية ثالثة أن طلحة والزبير رضي الله عنهما قالا لها «مهلاً رحمكِ الله ، بل تقدمين فيراك المسلمون ، فيصلح الله ذات بينهم»[3].

---

(١) ابن بلبان . **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان** ؛ تحقيق شعيب الأرنؤوط ٠- ط٢ ٠- بيروت : مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م ، ج١٥ ، ص ١٢٦ ؛ ابن حجر . **فتح الباري** ، ج١٣ ، ص ٥٥ . وماء الحوأب من مياه أبي بكر بن كلاب على طريق البصرة (ياقوت . **معجم البلدان** ٠- بيروت : دار صادر ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ، ج٢ ، ص ٣١٤) .

(٢) أحمد . **المسند** ، ج٦ ، ص ٩٧ .

(٣) ابن أبي شيبة . **المصنف** ؛ تحقيق كمال يوسف الحوت ٠- ط١ ٠- الرياض : مكتبة الرشد ، ١٤٠٩هـ ، ج٧ ، ص ٥٣٦ . انظر تتبعاً لروايات هذا الخبر وتخريجه في عبد الحميد فقيهي . **خلافة علي** ، ص ١٣٠ ، حاشية (١) ؛ أسماء زيادة . **دور المرأة السياسي** ، ص ٤٠٤ - ٤٠٥ . وجدير بالتنبيه أن ثمة روايات منكرة باطلة وردت في خبر ماء الحوأب تزعم أن بعض الصحابة الذين مع عائشة رضي الله عنها اجترأوا على حرمات الله ، وحلفوا زوراً بأيمان مغلظة أن ذلك الماء ليس بماء الحوأب (فقيهي . **خلافة علي** ، ص ١٣١) وأمر آخر يحسن الإشارة إليه أن ما ثبت من عبارة النبي ﷺ «كيف بإحداكن تنبح عليها كلاب الحوأب» ليس فيها «ما يدل على نهي عن شيء ، أو أمر بشيء لتفعله ... عائشة ، بل إن ما يفهم منها هو تساؤله عن أيتكن التي يحدث أن تمر على ماء الحوأب» (أسماء زيادة . **دور المرأة السياسي** ، ص ٤٠٥) وموقف عائشة رضي الله عنها حين مرت بهذا الماء لا يعدو أن يكون ظناً في احتمال الرجوع كما جاء على لسانها ، وهو ظن لم يتلبس إلا يسيراً في نفسها ثم عاد هدفها من الخروج واضحاً حين ذُكرت بما عسى أن يجري على يديها من إصلاح بين المسلمين (المرجع نفسه ، ص ٤٠٦) أما ربط بعضهم بين هذا الحديث وندمها بعد وقعة الجمل فلا مسوغ له ، ذلك أن «عائشة لم تقاتل ولم تخرج لقتال ، وإنما خرجت لقصد الإصلاح بين المسلمين ، وظنت أن في خروجها مصلحة للمسلمين ، ثم تبين لها فيما بعد أن ترك الخروج كان أولى» (ابن تيمية . **منهاج السنة** ، ج٤ ، ص ٣١٦) راجع ابن العربي . **العواصم** ، ص ١٦٣، حاشية ؛ أسماء زيادة . **دور المرأة السياسي** ، ص ٤٩١ - ٤٩٤) .

فمن خلال هذه الروايات يلاحظ أن الثلاثة - من واقع قولي طلحة والزبير رضي الله عنهما ، وإقرار أم المؤمنين لقوليهما - كان هدفهم الإصلاح بين المسلمين ، وتبين روايات أخرى أنهم يرون أن أول خطوات هذا الإصلاح إما هو تنفيذ القصاص بقتلة الخليفة الشهيد عثمان رضي الله عنه [1]. ويبدو أن توجههم إلى البصرة بالذات؛ لأنها هي البلد الذي ظهر فيه الخلاف بين المسلمين أكثر من غيرها ، إذ إن الذين شاركوا في حصار عثمان رضي الله عنه وقتله من أهلها قد عادوا إليها ، وصارت الهيمنة لهم فيها .

- زعمت بعض الروايات أن أصحاب الجمل قد تجنبوا السير في طريق البصرة الرسمي، وأنهم ساروا بمحاذاته، وكأنها تريد أن تصورهم بأنهم مجموعة من الخارجين على الخلافة، الخائفين من علي رضي الله عنه أن يلحق بهم. ولكن بدراسة خط سيرهم حسب الأماكن الواردة في الروايات مقارنة بتحديدها بدقة على ضوء المصادر الجغرافية اتضح أن أصحاب الجمل سلكوا الطريق المعتاد بين مكة والبصرة، ولم يحيدوا عنه[2].

- ادعت بعض الروايات أيضاً أن علياً رضي الله عنه قد خرج في إثر أصحاب الجمل،

---

(١) جاء ذلك في رواية للأحنف بن قيس صحيحة السند أن عائشة وطلحة والزبير رضي الله عنهم أرسلوا إليه حين وصلوا البصرة يستنصرونه على دم عثمان «الطبري . **تاريخ الأمم والملوك** ، ج٤ ، ص٤٩٨ ؛ يوسف العش . **الدولة الأموية والأحداث التي سبقتها ومهدت لها**- ط٢ - دمشق : دار الفكر ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م ، ص ٥٤ - ٥٥) وجاء بسند جيد في قول لطلحة رضي الله عنه خلال وجوده بالبصرة ما ينص على مطالبته بدم عثمان «الحاكم . **المستدرك** ، ج٦ ، ص٢٠٥٥ ؛ الذهبي . **سير أعلام النبلاء** ، ج١ ، ص ٤٣) كما ورد بإسناد صحيح إقرار الزبير (لكلام الذين خاطبوه بقدومه البصرة لطلب دم عثمان «أحمد . **المسند** ؛ تحقيق أحمد محمد شاكر ، ط. دار المعارف بمصر ١٣٦٩هـ / ١٩٥٠م ، ج٣ ، ص ٩) كما ورد في رواية لسيف على لسان عائشة رضي الله عنها ما يدل على المطالبة بذلك الأمر (الطبري . **تاريخ الأمم والملوك** ، ج٤ ، ص ٤٦٢) .

(٢) انظر تفصيل ذلك في الغيث . **استشهاد عثمان** ، ص ١٦٧-١٦٨ .

وبالعودة إلى هذه الروايات نفسها نراها تؤكد على أن علياً رضي الله عنه أقام بالرَّبَذَة[1] عدة أيام، وإقامته عدة أيام هناك ليس صنيع من خرج يطلب قوماً، ثم إن الربذة تقع على طريق الكوفة بينما أصحاب الجمل سلكوا طريق البصرة . وشيء آخر ذكرته تلك الروايات نفسها وهو أن علياً رضي الله عنه انطلق من الربذة إلى فَيْد[2] ثم إلى الثَّعْلبيَّة[3]، وهذه منازل من يسلك طريق الكوفة، فهو لم يتعقب أصحاب الجمل، وإلا لترك طريق الكوفة وقصد طريق البصرة ، ذاك أن من أراد البصرة خارجاً من المدينة فإنه يمر على النَّقِرَة[4] الواقعة على طريق الكوفة ، ومنها يأخذ باليمين حتى يصل النِّبَاج[5] ليسلك بهذا طريق البصرة، «لكن علياً رضي الله عنه لم يفعل ذلك ، بل تعدى النقرة، وواصل سيره إلى فيد ثم الثعلبية»[6]، وهذا يعني أنه رضي الله عنه لم يخرج في أعقاب أصحاب الجمل ، وإنما قصد أصلاً التوجه إلى الكوفة .

(١) الرَّبَذَة . من قرى المدينة على طريق إلى فيد (ياقوت . **معجم البلدان** ، ج٣ ، ص ٤٢) وتقع في الشرق إلى الجنوب من الحناكية (شراب . **المعالم الأثيرة** ، ص ١٢٥) .

(٢) فَيْد . بليدة في نصف طريق مكة – الكوفة (ياقوت . **معجم البلدان** ، ج٤ ، ص ٢٨٢) وتقع إلى الجنوب من حائل (شراب . **المعالم الأثيرة** ، ص ٢١٩) .

(٣) الثَّعْلبيَّة . من منازل طريق مكة – الكوفة ، وهي تمثل ثلثي الطريق (ياقوت . **معجم البلدان** ، ج٢ ، ص ٧٨) .

(٤) النَّقْرَة . ويقال لها معدن النقرة ، وهي من منازل حاج الكوفة ، ولكنها مفترق الطريق بين من يريد المدينة أومن يريد مكة (ياقوت . **معجم البلدان** ، ج٥ ، ص ٢٩٨) وهي الآن على طريق المدينة القصيم القديم ، وتعد الحد الشمالي الغربي لمنطقة القصيم (صالح بن سليمان الوشمي . **الآثار الاجتماعية والاقتصادية لطريق الحج العراقي على منطقة القصيم** ٠– ط١٠– بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م ، ص ١٥٦ ، ٢٥٨) .

(٥) النِّبَاج . على طريق البصرة ، يقال له نباج بني عامر بحذاء فيد (ياقوت . **معجم البلدان** ، ج٥ ، ص ٢٥٥) وهي الآن ما يسمى بالأسياح (عين ابن فهيد) في شمالي شرق منطقة القصيم (الوشمي . **الآثار الاجتماعية والاقتصادية لطريق الحج العراقي** ، ص ١٣٣ ، ١٩٩) .

(٦) **الغيث . استشهاد عثمان** ، ص ١٨٣-١٨٤ .

- وبهذا نعلم أن علياً رضي الله عنه كان قد تفهم هدف خروج عائشة والزبير وطلحة رضي الله عنهم إلى العراق ، إذ لم يرَ فيه بأساً ؛ لأنه لا يخرج في نظره - فيما يظهر - عن الغَيرة على دين الله ، والغضب لانتهاك حرماته تجاه أولئك المفسدين القتلة الذين تجرأوا على خليفة المسلمين ، وسفكوا دمه ، وانتهكوا حرمة المدينة النبوية ، وحرمة الخلافة ، فقد صح أن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عنفت القتلة في كلام لها منه قولها «وعدوتم عليه الفقر [الأمور العظام] الثلاث ، حرمة البلد ، وحرمة الخلافة ، وحرمة الشهر الحرام»(١). ولعل ما رواه سيف بن عمر - بالرغم من عدم ثقة أهل الحديث برواياته(٢) - ما يجلي هدفها من الخروج إلى

(١) أحمد . **فضائل الصحابة** ؛ تحقيق وصي الله بن محمد عباس -ط١- مكة: جامعة أم القرى ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، ج١ ، ص ٤٥٢ .

(٢) سيف بن عمر التميمي (ت. حوالي سنة ١٨٠هـ) صاحب كتاب الردة والفتوح وغيره . تكلم فيه أهل الحديث ، وحكموا عليه بالضعف (المزي . **تهذيب الكمال في أسماء الرجال** ؛ تحقيق بشار عواد معروف -ط١- دار الرسالة ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ، ج١٢ ، ص ٣٢٤-٣٢٦ ؛ ابن حجر . **تهذيب التهذيب** -ط١- بيروت : دار الفكر ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ، ج٤ ، ص ٢٥٩) ومن أشد ما وصف به سيف قول ابن حبان «كان سيف يضع الحديث ، وكان قد اُتهم بالزندقة» (**كتاب المجروحين** ؛ تحقيق محمود إبراهيم زايد -ط١- حلب : دار الوعي ، ج١ ، ص٣٤٦) بيد أن ابن حجر عارض ما قاله ابن حبان في سيف فقال «أفحش ابن حبان القول فيه» (**تقريب التهذيب** ؛ تحقيق صغير أحمد شاغف الباكستاني -ط٢- الرياض : دار العاصمة، ١٤٢٣هـ ، ص ٤٢٨) .. ويمكن أن نضيف أن مجمل مرويات سيف عن مواقف كثير من الصحابة في الفتنة تبعد عنه تهمة الزندقة ، إذ نراه يضعهم في محلهم اللائق بهم ، وينزههم عن فعل القبيح (العش. **الدولة الأموية** ، ص ٦٦ وقارن أسماء زيادة . **دور المرأة السياسي** ، ص ٨٠-٨١) أما ما لوحظ عليه في مواضع قليلة من تناول لبعض الصحابة فيرجح أن سببه يعود إلى شيوخ سيف الذين روى عنهم ، حيث أنه تتلمذ على عدد من الرواة ذوي العقائد الفاسدة الذين لا يقيمون للصحابة حرمة (الغيث . **استشهاد عثمان** رضي الله عنه ،

العراق ، ومن ثم تفهم علي رضي الله عنه لمقصدها الأمر الذي جعله لا يرى غضاضة في حركتها تلك ، فهي حين سئلت عن مجيئها إلى البصرة قالت رضي الله عنها - كما روى سيف(١) - «والله ما مثلي يسير بالأمر المكتوم ، ولا يغطي لبنيه الخبر ، إن الغوغاء من أهل الأمصار ، ونزّاع القبائل غزوا حَرَم رسول الله ﷺ ، وأحدثوا فيه الأحداث ، وآووا فيه المحدثين ، واستوجبوا فيه لعنة الله ، ولعنة رسوله ، مع ما نالوا من قَتْل إمام المسلمين بلا تِرَة ولا عُذر، فاستحلوا الدم الحرام فسفكوه، وانتهبوا المال الحرام، وأحلوا البلد الحرام، والشهر الحرام، ومزقوا الأعراض والجلود، وأقاموا في

ص٣٤) . ولقد كان ابن حجر موفقاً ودقيقاً حين فرق بين سيف المحدث، وسيف المؤرخ ، فقال في تقويمه له «ضعيف في الحديث ، عمدة في التاريخ» (**تقريب التهذيب** ، ص ٤٢٨) وجدير بالذكر أن كثيراً من المؤلفين السابقين من المشارقة والمغاربة والأندلسيين سواء في التاريخ أو الرجال أو المعاجم ، بل حتى في الحديث اعتمدوا على مصنفات سيف (سيف بن عمر . كتاب **الردة والفتوح** وكتاب **الجمل ومسير عائشة وعلي** ؛ تحقيق قاسم السامرائي ·- ط٢ ·- الرياض : دار أمية ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م ، ص ٢٥-٢٧) ولقد توصل بعض الباحثين أن روايات سيف في الفتنة تسير في اتجاه منسجم مع اتجاه الروايات الصحيحة ، زد على ذلك أنها تقدم إيضاحاً وتفسيراً لما أثارته تلك الروايات الصحيحة من قضايا دون توضيح (العش . **الدولة الأموية** ، ص ٧٧) كما لاحظ أحد الباحثين أن روايات سيف عن حركة الفتح الإسلامي تضمنت روائع من الفن الحربي على أيدى كبار القادة المسلمين ما طابق آراء المحللين العسكريين والمعقبين الحربيين ، ومطابقة آراء هؤلاء لروايات سيف تعني أن ماروواه سيف قد حدث فعلاً في جملته وأكثر تفاصيله ، إذ يستحيل على سيف وغيره ممن جاء بعده بقرون أن يضع مثل تلك الأخبار أو يؤلفها من عندياته ، وهذه النتيجة «تمنح روايات سيف بن عمر من الثقة أكثر بكثير مما جاء في تجريحه» (أحمد عادل كمال . **الطريق إلى دمشق** ·- ط٢ ·- بيروت : دار النفائس ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ، ص ٦٧) ونتيجة لهذا ذهب بعض المحققين المحدثين إلى الاعتماد على روايات سيف ما لم تصدم بما هو أوثق منها وأوضح (أسماء زيادة. **دور المرأة السياسي**، ص ٨٣) .

(١) **الجمل ومسير عائشة وعلي** ، ص٢٨٦-٢٨٧ ؛ الطبري . **تاريخ الأمم والملوك** ، ج٤ ، ص ٤٦٢ .

دار قوم كارهين لمقامهم ، ضارين مضارين، غير نافعين ولا متقين ، لا يقدرون على امتناع ولا يأمنون ، فخرجت في المسلمين أعلمهم ما أتى هؤلاء القوم وما فيه الناس وراءنا ، وما ينبغي لهم أن يأتوا في إصلاح هذا ، وقَرَأَتْ ﴿ **لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ** ﴾[1] ننهض في الإصلاح ممن أمر الله وأمر رسوله ، الصغير والكبير ، والذكر والأنثى ، فهذا شأننا إلى معروف نأمركم به ونحضكم عليه ، ومنكر ننهاكم عنه ونحثكم على تغييره» .

فخروجها رضي الله عنها ومن معها من الصحابة إذن كان أقرب إلى التعاون مع علي رضي الله عنه ، وذلك من خلال تعريف المسلمين بالفساد الذي أحدثه هؤلاء السبئيون والغوغاء من أهل الأمصار ونزاع القبائل ، ومن ظاهرهم من الأعراب والعبيد ، وتكوين ما يمكن أن يسمى برأي إسلامي عام في مواجهتهم[2] . ومن جانب آخر فالإسلام ليس شأن الحكام وحدهم ، والسعي في إقامة حدود الله ، والتمكين لدينه مهمة لا تختص بالحاكم وحده ، ولكنها تتعلق بالمسلمين جميعاً من الرجال والنساء ، إذ كل مسلم مكلف بإقامته في نفسه ، وبدعوة الآخرين أيضاً إلى إقامته في أنفسهم ، كما أنه مكلف بتغيير المنكر بدرجة من درجاته الثلاث المقررة، وذلك حسب قدرته وموقعه في المجتمع[3]، ومثل أم المؤمنين والصحابة الذين معها قد

(١) سورة النساء ، الآية : ١١٤ .

(٢) أسماء محمد أحمد زيادة . **دور المرأة السياسي** ، ص ٣٩٣ . وانظر جعيط . **الفتنة** ، ص ١٥٠ .

(٣) أسماء زيادة . **دور المرأة السياسي** ، ص٣٩٢ . راجع ابن العربي . **أحكام القرآن**؛ تحقيق عبد الرزاق المهدي -٠ ط١ -٠ دار الكتاب العربي ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠ م ، ج١ ، ص ٣٤٠ - ٣٤٢ ، ج٢ ، ص ٢٣١ ؛ منير حميد البياتي . **الدولة القانونية والنظام السياسي الإسلامي** -٠ ط١-٠ بغداد : الدار العربية ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م ، ص ٤٨٠ ، ٤٨٧ - ٤٩٠ .

فقهوا هذا المعنى فلا غرابة أن يخرجوا لتقوية الجانب المطالب بإقامة الحدود ليتم ذلك بأقل قدر من الخسائر . «وهو هدف لا نشك أن علياً رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كان يسعى إليه ، ويحاوله ، بل إن الروايات قد ذكرته واضحاً»[1]. أما كون أصحاب الجمل كانوا يطالبون بتسليم قتلة عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إليهم ، ليقوموا هم بأنفسهم بتنفيذ حكم الله فيهم - كما توهم بعض الكتاب - ، فإنه لا تقول به رواية صحيحة[2]، ناهيك عن كون هؤلاء الصحابة يدركون بعلمهم أن مثل هذه المهمة مسؤولية خليفة المسلمين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .

- على ضوء ما مر آنفاً من وضوح هدف خروج أصحاب الجمل عند علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وانتفاء تتبعه لهم في الطريق إلى العراق ، ثم اللقاء الذي تم بين الطرفين قبيل وقعة الجمل ، وما جرى فيه من نقاش بشأن قتلة عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، ثم تعامل علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ معهم بعد تلك الوقعة - كما سنرى - كل هذا يسقط ما يردده بعض الكتاب من أن خروج عائشة والزبير وطلحة رضي الله عنهم إلى البصرة كان اعتراضاً على خلافة علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، أو خلعاً لطاعته ، بل في كل الأحوال التي أشرنا إليها لا نراه يتعامل معهم بصفتهم «خارجين عليه ، أو ناقضين للبيعة ، أو غير مبايعين من الأساس»[3]. ولقد ظل الزبير وطلحة رضي الله عنهما يقران بخلافة علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، ويحفظان له مكانته حتى آخر يوم من حياتهما ، وهو يوم الجمل ، فقد صح عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال «أرسلني علي إلى طلحة والزبير يوم الجمل ، قال : فقلت لهما : إن أخاكما يقرئكما السلام ، ويقول لكما : هل وجدتما عليَّ حيفاً في حكم ، أو

(١) أسماء زيادة . **دور المرأة السياسي** ، ص ٣٩٣ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ٤١٧ .

(٣) أسماء زيادة . **دور المرأة السياسي** ، ص ٤٢٦ .

استئثاراً بفيء ، أو بكذا أو بكذا ، قال : فقال : الزبير : ولا في واحدة منها ...»[1].

يقول ابن حزم[2] «وأما أم المؤمنين والزبير وطلحة رضي الله عنهم ومن كان معهم فما أبطلوا قط إمامة علي، ولا طعنوا فيها، ولا ذكروا فيه جرحة تحطه عن الإمامة، ولا أحدثوا إمامة أخرى ، ولا جددوا بيعة لغيره ، هذا ما لا يقدر أن يدعيه أحد بوجه من الوجوه ، بل يقطع كل ذي علم على أن كل ذلك لم يكن ، فإذ لا شك في كل هذا فقد صح صحة ضرورية لا إشكال فيها أنهم لم يمضوا إلى البصرة لحرب

---

(١) أحمد . **فضائل الصحابة** ، ج٢ ، ص ٥٩٦ ؛ ابن أبي شيبة . **المصنف** ، ج٧ ، ص ٥٣٨ . ولقد ورد بإسناد صحيح أن طلحة والزبير رضي الله عنهما قد بايعا علياً رضي الله عنه تحت التهديد (ابن أبي شيبة . المصنف ، ج٧ ، ص ٥٣٦ ؛ أكرم ضياء العمري . **عصر الخلافة الراشدة** ٠- ط١٠- المدينة : مكتبة العلوم والحكم ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م ص ٤٠٠ ، ٤٠٧) كما ورد بإسناد صحيح أيضاً أن الأحنف بن قيس حين سأل عائشة والزبير وطلحة رضي الله عنهم عمن يبايع بعد عثمان رضي الله عنه ، أشاروا عليه بمبايعة علي «الطبري . **تاريخ الأمم والملوك** ، ج٤ ، ص ٤٩٧-٤٩٨، ابن حجر . فتح الباري ، ج١٣ ، ص ٣٤-٣٥ ؛ العش . **الدولة الأموية** ، ص ٥٤) وقد يبدو تعارض بين أن يكون الزبير وطلحة رضي الله عنهما أشارا بالبيعة لعلي رضي الله عنه وأن يكونا قد بايعا مكرهين (الغيث . **استشهاد عثمان** ، ص ١٤١) وبالتأمل في الموقفين مقارنة بتطورات الأحداث حتى وقعة الجمل لا يبدو لنا تعارض فيهما ، ذاك أن بيعتهما لعلي رضي الله عنه مكرهين أو غير مكرهين لا يبطل البيعة له بالخلافة ، فبيعته تمت ببيعة جمهور الصحابة رضي الله عنهم له، فلا يضر تخلف الواحد والاثنين والطائفة القليلة في انعقاد الإمامة (ابن تيمية . **منهاج السنة** ، ج١ ، ص ٥٣١ ، ج٨ ، ص ٣٣٥) فليس من شروط صحة بيعة علي رضي الله عنه مبايعة طلحة والزبير رضي الله عنهما له . وبالإضافة إلى ذلك فقد أثبتنا في المتن أنهما كانا يقران بخلافة علي رضي الله عنه ، ويريانها خلافة شرعية ، هذا من جانب ، ومن جانب آخر فإنه ينبغي التنبه إلى أن الزبير وطلحة وعائشة رضي الله عنهم لم يخرجوا أصلاً على علي رضي الله عنه حتى نضطر إلى مناقشة هل بايعا مكرهين أو غير مكرهين .

(٢) **الفصل في الملل والأهواء والنحل** ؛ تحقيق محمد إبراهيم نصر وعبد الرحمن عميرة ٠- بيروت : دار الجيل ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، ج٤ ، ص ٢٣٨-٢٣٩ .

علي، ولا خلافاً عليه ، ولا نقضاً لبيعته ، ولو أرادوا ذلك لأحدثوا بيعة غير بيعته ، هذا ما لا يشك فيه أحد ولا ينكره أحد . فصح أنهم إنما نهضوا إلى البصرة لسد الفتق الحادث في الإسلام من قتل أمير المؤمنين عثمان رَضِوَاللَّهُعَنْهُ ظلماً ...» .

- كانت البصرة تموج بالاضطرابات وقت وصول أصحاب الجمل إليها ، وقد استمر وضعها كذلك بعد وصولهم.. إذ يحكي أبو رجاء العطاردي ذلك الوضع بقوله «أتيت طلحة بن عبيد الله وقد غشيه الناس ، وهو على دابته ، فجعل يقول : ياأيها الناس ، أتنصتون ؟ فجعلوا يركبونه ولا ينصتون ، فقال : أفٍ ، أفٍ ، فراش نار ، وذبان طمع»[1]. وهذا الوضع المضطرب هو الذي جعل علياً رَضِوَاللَّهُعَنْهُ يترك طريق الكوفة ويتوجه إلى البصرة ، ففي لقاء علي رَضِوَاللَّهُعَنْهُ بوفد أهل الكوفة في ذي قار[2] كشف عن سبب عزمه على التوجه إلى البصرة بكل وضوح ، فقال - كما روى سيف[3] - «وقد دعوتكم لتشهدوا معنا إخواننا من أهل البصرة ، فإن يرجعوا فذاك ما نريد ، وإن يلجوا داويناهم بالرفق ، وبايناهم حتى يبدأونا بظلم ، ولن ندع أمراً فيه صلاح إلا آثرناه على ما فيه الفساد إن شاء الله ، ولا قوة إلا بالله» . فهو هنا لم يأتِ على ذكر عائشة وطلحة والزبير رضي الله عنهم ، وإنما قال «إخواننا من أهل البصرة» ، فانظر إلى قوله (إخواننا) ، ثم بين أن تعامله معهم سيكون بالرفق ، وأنه سيؤثر من الأمور ما فيه إصلاح أحوالهم . وقد جاء في روايات أخرى لسيف[4] حرص علي

(١) خليفة بن خياط . **تاريخه** ، ص ١٨٢ ، ابن عساكر . **تاريخ مدينة دمشق** ، ج٢٥، ص ١٠٩ . ورجال سنده عند الذهبي ثقات (**سير أعلام النبلاء** ، ج١ ، ص ٣٥ ، حاشية ٣) .

(٢) ذو قار . ماء لبكر بن وائل قريب من الكوفة بينها وبين واسط (ياقوت . **دور المرأة السياسي** ، ج٤ ، ص ٢٩٣) .

(٣) **الجمل ومسير عائشة وعلي** ، ص ٣١٣ ؛ الطبري . **تاريخ الأمم والملوك** ، ج٤ ، ص ٤٨٧ .

(٤) **الجمل ومسير عائشة وعلي** ، ص ٣١٤ ؛ الطبري . **تاريخ الأمم والملوك** ، ج٤ ، ص ٤٨٨ .

رضي الله عنه على الإصلاح حين بعث بالقعقاع بن عمرو إلى أصحاب الجمل .. ولما جلى ابن حزم[1] حقيقة هدف أصحاب الجمل من مقدمهم إلى البصرة ، وهو الإصلاح - قال «ولم يكن نهوض علي إلى البصرة لقتالهم ، لكن موافقاً لهم على ذلك ليقوى بهم ، وتجتمع الكلمة على قتلة عثمان رضي الله عنه » .

- كان توتر أوضاع المسلمين أيامئذ تحزن الصحابة رضي الله عنهم، وتقلق نفوسهم، فقد وصف علقمة بن وقاص الليثي بسند جيد ما شهده من حال طلحة رضي الله عنه في تلك الأيام فقال «لما خرج طلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم رأيت طلحة وأحب المجالس إليه أخلاها ، وهو ضارب بلحيته على زَوْره ، فقلت : يا أبا محمد ! أرى أحب المجالس إليك أخلاها ، وأنت ضارب بلحيتك على زورك ، إن كرهت شيئاً فاجلس ، قال : فقال لي: يا علقمة بن وقاص ، بينا نحن يد واحدة على من سوانا، إذ صرنا جبلين من حديد، يطلب بعضنا بعضاً، إنه كان مني في عثمان شيء، ليس توبتي إلا أن يسفك دمي في طلب دمه»[2]. فطلحة رضي الله عنه كان ضائق الصدر، كثير الهم، يؤثر مجالس الخلوة، يتألم من وضع المسلمين الذي انقلب من الائتلاف إلى الاختلاف، ومن الوحدة إلى الفرقة، فصار بعضهم يطلب بعضاً، ويزحف بعضهم إلى بعض. ولقد عد الزبير رضي الله عنه ما وقع له وللمسلمين حتى قبيل وقعة الجمل بأنه فتنة، فقد روي عن مطرف بن عبد الله بإسناد صحيح قوله «قلنا للزبير: يا أبا عبد الله ! ما جاء بكم ؟ ضيعتم الخليفة الذي قُتل (يعني عثمان بالمدينة)، ثم جئتم تطلبون بدمه (يعني بالبصرة) ، فقال الزبير رضي الله عنه: إنا قرأنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) **الفصل في الملل والأهواء والنحل** ، ج٤ ، ص ٢٣٨-٢٣٩ .

(٢) الطبري . **تاريخ الأمم والملوك** ، ج٤ ، ص ٤٧٦ ؛ الذهبي . **سير أعلام النبلاء** ، ج١ ، ص٣٤ . ورواه الحاكم . **المستدرك** ، ج٥ ، ص ١٧٣٥ ، ج٦ ، ص ٢٠٥٥ . وقال الذهبي . «سنده جيد» (المصدر نفسه، ج٦ ، ص ٢٠٥٥) .

وأبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ﴿ **واتَّقُوا فتنة لاَّ تُصيبنَّ الَّذين ظلمُوا منكم خاصَّة** ﴾[1] ، لم نكن نحسب أنا أهلها، حتى وقعت منا حيث وقعت»[2]. وفي رواية - بإسناد صحيح أيضاً - عن الحسن، قال «قال الزبير بن العوام: نزلت هذه الآية ، ونحن متوافرون مع رسول الله ﷺ ﴿ **وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً** ﴾ ، فجعلنا نقول : ما هذه الفتنة ؟ وما نشعر أنها تقع حيث وقعت»[3]. فالزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما رأى ما حدث لعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثم ما عايشه من تقلبات واختلاف لاسيما في البصرة كاد أن يوقن بأنها هي الفتنة التي حذر منها الله سبحانه المؤمنين في كتابه العظيم ، وكانوا يتساءلون عنها ، بل إنه عد نفسه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من أهلها .

- هذه الكلمات التي عبر فيها طلحة والزبير رضي الله عنهما عن شعورهما ورأيهما فيما آلت إليه الأحوال تؤكد لنا مرة أخرى أن أصحاب الجمل حينما خرجوا إلى البصرة كانوا يهدفون إلى الإصلاح ، فهم قد خرجوا رضي الله عنهم بما لهم من قدر ومنزلة ومرجعية بين المسلمين لحشد الرأي العام ضد أولئك القتلة المعتدين، وإيقاع القصاص فيهم ، غير أنهم اكتشفوا بعد وصولهم إلى البصرة ، ومعاينتهم للواقع فيها أن المسألة ليست بتلك السهولة التي كانوا يتصورونها ، فالجيوب السبئية موجودة كذلك في البصرة ، وهي لا تألوا جهداً في هدم البنيان

---

(١) سورة الأنفال ، الآية : ٢٥ .

(٢) أحمد . **المسند** ؛ تحقيق شاكر ، ج٣ ، ص ٩ ؛ الذهبي . **سير أعلام النبلاء** ، ج١ ، ص ٥٧ ، **تاريخ الإسلام ، عهد الخلفاء الراشدين** ؛ تحقيق عمر عبد السلام تدمري ٠- ط١ ٠- بيروت: دار الكتاب العربي ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ، ص ٥٠٤ ؛ ابن كثير . **تفسير القرآن العظيم** ؛ تحقيق عبد الرزاق المهدي٠- ط١ ٠- بيروت: دار الكتاب العربي ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م ، ج٣ ، ص٢٩١؛ ابن حجر . **فتح الباري** ، ج١٣ ، ص ٤ .

(٣) أحمد . **المسند** ؛ تحقيق شاكر ، ج٣ ، ص ٢٣ .

الإسلامي من أساسه «ورد الأمور على أدبارها ، فلا الحجة ولا المنطق ولا الدعوة الهادئة تفعل فعلها هنا»(1). وإذا كانوا قد اكتشفوا هذه الحقيقة فإنهم في الآن نفسه تشكلت لديهم قناعة بأن أفضل السبل للوقوف أمام هؤلاء المتآمرين هو الترتيب مع خليفة المسلمين علي رضي الله عنه الذي كان هو الآخر قد حدد منذ البداية موقفه من أصحاب الجمل - كما في رواية سيف(2) - لما سأله أحدهم عن موقفه منهم قال «أما الذي نريد وننوي فالإصلاح ، إن قبلوا منا وأجابونا إليه ، قال : فإن لم يجيبونا إليه ؟ قال : ندعهم بعذرهم ، ونعطيهم الحق ونصبر ، قال : فإن لم يرضوا ؟ قال : ندعهم ما تركونا ، قال : فإن لم يتركونا ؟ قال : امتنعنا منهم» .

- صح أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أرسل ابن عباس رضي الله عنه إلى طلحة والزبير رضي الله عنهما قبل وقعة الجمل، فلما التقى بهما قال «إن أخاكما يقرئكما السلام، ويقول لكما : هل وجدتما عليَّ حيفاً في حكم ، أو استئثاراً بفيء ، أو بكذا أو بكذا ، قال : فقال الزبير : ولا في واحدة منها»(3). فهنا يلاحظ من خلال هذه الرواية الصحيحة احترام علي رضي الله عنه للزبير وطلحة رضي الله عنهما ، حيث أرسل إليهما رسولاً ذا مكانة بين الصحابة وهو عبد الله بن عباس رضي الله عنه ، وقد وجهه إلى ملاطفتهما بنقل السلام إليهما ، ثم أمره بسؤالهما عن رأيهما في سيرته مع المسلمين في المدة التي تولى فيها أمرهم ، وقد خص بالسؤال عن عدة أشياء ، ذُكر منها في الرواية اثنان فقط ، فسألهما هل وجدا حيفاً في حكم ، واستئثاراً بفيء ، فرد الزبير رضي الله عنه بالنفي ، مما يعنى رضاه عن منهج علي رضي الله عنه في تسيير دفة

---

(1) أسماء زيادة . **دور المرأة السياسي** ، ص ٤٤٣ .

(2) **الجمل ومسير عائشة وعلي** ، ص ٣٠٢ ؛ الطبري . **تاريخ الأمم والملوك** ، ج٤ ، ص ٤٧٩ .

(3) أحمد . **فضائل الصحابة** ، ج٢ ، ص ٥٩٦ ؛ ابن أبي شيبة . **المصنف** ، ج٧ ، ص ٥٣٨ .

الخلافة التي لم تكن صحة ولايته لها موضع خلاف عنده - كما عرفنا قبل - ، ويبدو أن لقاء ابن عباس رضي الله عنه لهما مهد لاجتماع علي رضي الله عنه بهما ، فقد أخرج بن أبي شيبة[1] - بسند صحيح - عن عبد خير قوله «ضُرب فسطاطٌ بين العسكرين يوم الجمل[2]، ثلاثة أيام ، فكان علي والزبير وطلحة يأتونه ، فيذكرون فيه ما شاء الله حتى إذا كان يوم الثالث عند زوال الشمس رفع علي جانب الفسطاط ، ثم أمر بالقتال ...» . فيفهم من هذه الرواية أن علياً رضي الله عنه هو الذي نصب ذلك الفسطاط [الخيمة] لمدة ثلاثة أيام ، إذ أنه هو الذي رفعه بعد ذلك ، وقد غدا هذا الفسطاط محلاً للقاء الثلاثة علي والزبير وطلحة رضي الله عنهم ، فصاروا يأتونه ويتناقشون فيه ، ومن المؤكد أن نقاشهم - وإن لم تصرح به الرواية - قد انصب على القصاص من قتلة عثمان رضي الله عنه، فهو أصل الاختلاف بين الطرفين ، ويلاحظ أن علياً رضي الله عنه نصب الفسطاط بين المعسكرين ، فلعله قصد من ذلك أن يكون اجتماعهم بمرأى من

---

(١) **المصنف** ، ج٧ ، ص٥٣٧ . وسنده : حدثنا يحيى بن آدم حدثنا أبو الأحوص عن خالد بن علقمة عن عبد خير . وعبد خير الهمداني ، صاحب علي رضي الله عنه ، ثقة (ابن أبي حاتم . **الجرح والتعديل** -٠ ط١ -٠ بيروت : دار إحياء الثراث العربي ، ١٣٧١هـ / ١٩٥٢م ، ج٦ ، ص ٣٧ ؛ ابن حجر . **تهذيب التهذيب** ، ج٦ ، ص ١١٣) وخالد بن علقمة الهمداني ، ثقة ، يروي عن عبد خير (ابن أبي حاتم . **الجرح والتعديل** ، ج٣ ، ص ٣٤٣ ، ابن حجر . **تهذيب التهذيب** ، ج٢ ، ص٩٣) وأبو الأحوص هو سلام بن سليم. أخرج له البخاري ، ويروي عن خالد بن علقمة (الباجي . **التعديل والتجريح** ؛ حققه أبولبابة حسين -٠ ط١-٠ الرياض: دار اللواء ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م ، ج٣ ، ص ١١٤٠ ، ابن حجر . **تهذيب التهذيب** ، ج٤، ص٢٤٨) ويحيى بن آدم الأموي، ثقة ، ويروي عن أبي الأحوص، وروى عنه ابن أبي شيبة (ابن حجر . **تهذيب التهذيب**، ج١١ ، ص ١٥٤) . فالسند متصل ، ورجاله ثقات .

(٢) يعبر باليوم عن الزمان ، فيقال مثلاً يوم بعاث ، ويوم الجمل ، ويعنون بذلك الأيام التي قبلها أو بعدها . انظر (العيني . **عمدة القاري** ، ج١٠ ، ص ٨٣) .

جميع أفراد المعسكرين ، فيكون ذلك وسيلة لتفريغ ما انشحن في النفوس من سخيمة وغضب ونحوه ، جراء الاختلاف بين الجانبين على مدى المدة الفائتة ، وعندئذ تصفو القلوب ، ويقترب بعضها من بعض . وبينما تحكي هذه الرواية أيضاً لقاء علي والزبير وطلحة رضي الله عنهم وتذاكرهم فيما اختلفوا فيه وسط المعسكرين في الفسطاط المنصوب بينهما إذ تذكر الرواية نفسها أن ذلك الفسطاط رفع فجأة عند زوال شمس اليوم الثالث، ثم وقوع القتال مباشرة . فهي لا تفصح عن سبب هذا التطور المفاجئ الذي نقل الأمور نقلة بعيدة من اللقاء الودي إلى الالتحام الحربي ، فتبقى المسألة محيرة على ضوء هذه الرواية الصحيحة ، بيد أن الروايات التاريخية الأخرى وبخاصة رواية الأخباري سيف بن عمر التميمي تكشف لنا السبب كشفاً جلياً ، فتوضح أن اندلاع القتال بين الطرفين جرى بتدبير خبيث من السبئية ، ذاك أنهم حين اصطلح علي رضي الله عنه مع أصحاب الجمل «بات الذين أثاروا أمر عثمان - كما يقول سيف[١] - بِشَرِ ليلة باتوها قط ، قد أشرفوا على الهَلَكة ، وجعلوا يَسّرُون ليلتهم كلها ، حتى اجتمعوا على إنشاب الحرب في السر ، واستسروا بذلك خشية أن يُفطن لهم»، وقد شرح سيف خطتهم القائمة على تبييت السبئية في جيش الكوفة الهجوم غدراً على جيش البصرة، فنفذوا خطتهم في الصباح، فقام أهل البصرة بالدفاع عن أنفسهم، فرد عليهم جيش الكوفة، فكانت مناوشات في البداية ، ثم اشتعلت الحرب بين الطرفين[٢]. وقد أكد ابن حزم[٣] على أثر السبئية في إشعال

---

(١) **الجمل ومسير عائشة وعلي** ص ٣٢٨ ؛ الطبري . **تاريخ الأمم والملوك** ، ج٤ ، ص٥٠٦ .

(٢) سيف بن عمر . **الجمل ومسير عائشة وعلي** ، ص٣٢٨ ؛ الطبري . **تاريخ الأمم والملوك** ، ج٤ ، ص ٥٠٦-٥٠٧ .

(٣) **الفصل** ، ج٤ ، ص٢٣٩ . وانظر ما قاله ابن تيمية . **منهاج السنة** ، ج٤ ، ص ٣١٦-٣١٧ ، ج٦ ، ص ٣٦٣ .

القتال في وقعة الجمل ، وعلق على ذلك بقوله عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأصحاب الجمل بأنهم «اجتمعوا ولم يقتتلوا ولا تحاربوا ، فلما كان الليل عرف قتلة عثمان أن الإراغة والتدبير عليهم ، فبيتوا عسكر طلحة والزبير ، وبذلوا السيف فيهم ، فدفع القوم عن أنفسهم ، فرُدعوا حتى خالطوا عسكر علي ، فدفع أهله عن أنفسهم ، وكل طائفة تظن ولا تشك أن الأخرى بدأتها بالقتال ، فاختلط الأمر اختلاطاً لم يقدر أحد على أكثر من الدفاع عن نفسه ، والفسقة من قتلة عثمان - لعنهم الله - لا يفترون من شب الحرب وإضرامها ، فكلتا الطائفتين مُصيبة في غرضها ومقصدها ، مدافعة عن نفسها» . وعلى أي حال فإن أثر السبئية في نشوب القتال يوم الجمل مما يكاد يجمع عليه العلماء «سواء أسموهم بالمفسدين ، أو بأوباش الطائفتين ، أو ... بقتلة عثمان ، أو نبزوهم بالسفهاء ، أو بالغوغاء ، أو أطلقوا عليهم صراحة السبئية»[1].

- وكما كانت عائشة والزبير وطلحة رضي الله عنهم من جهة وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من جهة أخرى يسعون لرأب الصدع ، واجتماع الكلمة ، والرغبة في تنفيذ القصاص بقتلة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقد اندلع القتال في الجمل بغير اختيار منهم[2]، فهي «لم تكن حرباً بين هذين الفريقين ، بالمعنى المعروف للتحارب ، وإنما كانت ... فخاً وقع فيه الفريقان معاً، ومن التشويه للحقيقة أن تسمى هذه الحادثة حرباً بين علي ومن معه، وعائشة ومن معها ، فهم لم يريدوها ، ولم يبتدئوها»[3]. فلننظر في مواقف هؤلاء الأربعة من القتال في يوم المعركة ، ففيما يتعلق بالزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقد ثبت أنه قال لابنه

---

(١) سليمان العودة . **عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام** ·- ط١ ·- دار طيبة ، الرياض ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، ص ١٩٤ .

(٢) ابن تيمية . **منهاج السنة** ، ج٤ ، ص٣١٦ .

(٣) أسماء زيادة . **دور المرأة السياسي** ، ص ٤٤٠ .

عبد الله بعد أن نشب القتال يوم الجمل «يا بني إنه لا يُقتل اليوم إلا ظالم أو مظلوم، وإني لا أراني إلا سأُقتَلُ اليوم مظلوماً»[١]، فكأنه رضي الله عنه تحقق من المؤامرة التي حاكها السبئية في إنشاب القتال بين الطرفين، فتوقع أنهم لن يتركوه، بل إن اعتقاده قتله مظلوماً ليعبر أنه لم يسعَ للحرب، فضلاً أن يرضى بوقوعها، فهو قد جاء إلى البصرة للإصلاح، وكان لقاؤه قبيل ساعات مع علي رضي الله عنه من أجل هذا الهدف النبيل. وتشير رواية أخرى أن الزبير رضي الله عنه حين خرج يشق الصفوف معلناً إعراضه عن القتال، قال له ولده عبد الله: «وللقتال جئت؟ إنما جئت لتصلح بين الناس، ويصلح الله هذا الأمر بك»، فوقف حتى إذا اختلف أمر الناس ذهب على فرسه، وترك الميدان[٢]، وذلك قبل أن تقع المعركة، ثم لحقه عمرو بن جرموز، فقتله في وادي السباع[٣] على سبعة فراسخ من البصرة[٤]. أما طلحة رضي الله عنه فقد قتل في أول المعركة، حيث ورد بسند صحيح عن الأحنف بن قيس قوله «ثم التقى القوم فكان أول قتيل طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه»[٥]. ومقتل طلحة رضي الله عنه بهذه الصورة يحملنا على الترجيح بأنه حدث أثناء وقوفه في الميدان - كما فعل غيره - من أجل تهدئة الناس، ومناشدتهم عدم إراقة الدماء[٦]، ذاك أنه كان كذلك قبل ساعات قد التقى علياً

---

(١) البخاري. **الصحيح**، ج٣، ص ١١٣٨.

(٢) الحاكم. **المستدرك**، ج٦، ص ٢٠٤٨ - ٢٠٤٩.

(٣) ابن سعد. **الطبقات الكبرى** ·- بيروت: دار صادر، ج٣، ص ١١٠- ١١٢؛ الحاكم. **المستدرك**، ج٦، ص ٢٠٤٧، ٢٠٤٨؛ ابن حجر. **فتح الباري**، ج٦، ص ٢٢٩، ج٧، ص ٨٢.

(٤) الذهبي. **عهد الخلفاء**، ص ٥٠٧.

(٥) الطبري. **تاريخ الأمم والملوك**، ج٤، ص ٤٩٨؛ ابن أبي شيبة. **المصنف**، ج٦، ص ١٩٧، ج٧، ص ٥٤١؛ ابن حجر. **فتح الباري**، ج١٣، ص٤٣؛ العش. **الدولة الأموية**، ص٥٤.

(٦) ابن العربي. **العواصم**، ص ١٦٠.

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بشأن الاتفاق معه في موضوع الخلاف ، ولم يحصل شيء يصرفهما عن تبني هذا الاتجاه ، ولقد نقل الذهبي[(1)] عن بعض المؤرخين قوله «اصطف الفريقان ، وليس لطلحة ولا لعلي - رأسي الفريقين - قصد في القتال ، بل ليتكلموا في اجتماع الكلمة، فترامى أوباش الطائفتين بالنَّبْل، وشبت نار الحرب ، وثارت النفوس ، وبقى طلحة يقول : أيها الناس ! انصتوا ، والفتنة تغلي ، فقال : أف ، فراش النار ، وذئاب طمع»[(2)]، ثم ذكر أنه دعا الله أن يأخذ منه لعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، ثم أصيب بسهم في ركبته فما زال يسيل الدم منه حتى مات رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . يقول ابن حزم[(3)] «وأتى طلحة سهم غاير ، وهو قائم لا يدري حقيقة ذلك الاختلاط ، فصادف جرحاً في ساقه ، كان أصابه يوم أحد بين يدي رسول الله ﷺ ، فانصرف ومات من وقته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ» . أما أم المؤمنن عائشة رضي الله عنها فكانت تأمر بالبعد عن القتال ، فقد روي أن محمد بن طلحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سألها يومئذ فقال «يا أماه: ما تأمريني ؟ قالت : أرى أن تكون كخير ابني آدم ، أن تكف يدك ، فكف يده ، فقتله رجل من بني أسد بن خزيمة»[(4)]. ولما نشب القتال نراها رضي الله عنها تجتهد لإيقافه ، فقد صح أن قاضي البصرة كعب بن سور

---

(١) **عهد الخلفاء** ، ص ٤٨٦ .

(٢) كنا قد أوردنا رواية فيها كلمات شبيهة بهذه الكلمات ، وهي رواية لأبي رجاء العطاردي ، وفيها أنه أتى طلحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فرآه على دابته يسكت الناس ، فلم يمتثلوا، فقال . أف ، أف ، فراش نار، وذبان طمع . وقد استشهدنا بها هناك على اضطراب الوضع في البصرة بعد وصول أصحاب الجمل إليها ، وقبل وصول علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى البصرة ، وذلك لأن خليفة بن خياط وغيره أوردوها في سياق حديثهم عن المداولات بين أهل البصرة وأصحاب الجمل .

(٣) **الفصل** ، ج٤ ، ص ٢٣٩ .

(٤) الحاكم . **المستدرك** ، ج٦ ، ص ٢٠٥٨ - ٢٠٥٩ ؛ ابن أبي شيبة . **المصنف** ، ج٧ ، ص ٤٤٥ ؛ ابن عساكر . **تاريخ مدينة دمشق** ، ج٢٣ ، ص ٣-٤ .

خرج «ناشراً مصحفه ، يذكر هؤلاء ، ويذكر هؤلاء حتى أتاه سهم فقتله»[١]، وفي رواية أنه قام «معه المصحف ينشره بين الفريقين ، وينشدهم الله والإسلام في دمائهم ، فما زال بذلك المنزل حتى قتل»[٢]. ويروي سيف[٣] أن عائشة رضي الله عنها هي التي أمرت كعباً بالقيام بهذه المهمة ، حيث كانت بعيدة عن ميدان القتال ، فجاء كعب إليها ، وقال لها : «أدركي ! فقد أبى القوم إلا القتال ، لعل الله يصلح بك» ، فركبت الجمل بعد أن ألبسوا هودجها الأدراع ، ودخلت الميدان . فلما رأت ما رأت من القتال قالت لكعب : «خل يا كعب عن البعير ، وتقدم بكتاب الله ، فادعهم إليه ، ودفعت إليه مصحفاً ، وأقبل القوم ، وأمامهم السبئية ، يخافون أن يجري الصلح ، فاستقبلهم كعب بالمصحف ... فلما دعاهم كعب رشقوه رشقاً واحداً فقتلوه، ثم رموا أم المؤمنين في هودجها، فجعلت تنادي : يا بَني ! البقية البقية ، ويعلو صوتها كثرة ؛ الله الله ، اذكروا الله والحساب ، ويأبون إلا إقداماً ، فكان أول شيء أخذته حين أبوا ، أن قالت أيها الناس : العنوا قتلةَ عثمان وأشياعَهم ، وأَقبلتْ تدعو»[٤]. فعائشة رضي الله عنها في سبيل الدعوة إلى منع القتال خاطرت بنفسها

(١) ابن سعد . **الطبقات** ، ج٧ ، ص ٩٢ ، الطبري . **تاريخ الأمم والملوك** ، ج٤ ، ص ٤٩٨ ؛ العش . **الدولة الأموية** ، ص ٥٤ .

(٢) البخاري . **التاريخ الأوسط** ؛ تحقيق محمود إبراهيم زايد -ط١- حلب : دار الوعي ، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م ، ج١ ، ص ٧٥ . وانظر البسوي . **المعرفة والتاريخ** ؛ تحقيق أكرم ضياء العمري -ط٢- بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ، ج٣ ، ص ٣١٢ ؛ ابن عساكر . **تاريخ مدينة دمشق** ، ج١٨ ، ص٤١٥ ، ج٢٥ ، ص ١٠٨ ، الذهبي . **سير أعلام النبلاء**، ج١ ، ص ٣٥ .

(٣) **الجمل ومسير عائشة وعلي** ، ص ٣٢٩ ؛ الطبري . **تاريخ الأمم والملوك** ، ج٤ ، ص ٥٠٧ .

(٤) سيف بن عمر . **الجمل ومسير عائشة وعلي** ، ص ٣٣١ ؛ الطبري . **تاريخ الأمم والملوك** ، ج٤ ، ص٥١٣.

في أتون المعركة حتى تعرض هودجها للقصف بالسهام ، يقول أحد الذين شهدوا الوقعة وهو أبو رجاء العطاردي - كما ورد بسند صحيح - «لقد رأيت الجمل يومئذ كأنه قنفذ من النَّبل»[1]، فلم ينقطع الهجوم على ذلك الهودج إلا بعقر الجمل الذي كان يحمله[2]، وقد ورد بسند جيد أن عبد الله بن بديل بن ورقاء هو الذي أمر بعقره[3] ، ثم قام هو وأخوها محمد بن أبي بكر بإنزال هودجها بين يدي علي رضي الله عنه الذي أمر أن يدخل في بيت عبد الله بن ورقاء نفسه ، وحين نزلت فيه أتي لها بطست وإبريق ، فأخذت تعالج إصابة في رأسها ، قالت المرأة التي رأتها عن تلك الإصابة «ما أدري شجة أو رمية»[4]. وهكذا لم تنجُ عائشة رضي الله عنها من الجراح وهي داخل الهودج ، ولولا أن الهودج قد غلف بالأدراع لربما تعرضت للقتل ، ومن المؤكد أن الذين وجهوا سهامهم إليها هم من السبئية الذين كانوا يريدون قتلها ، وبخاصة بعد مقتل طلحة والزبير رضي الله عنهما . وثمة شيء ثالث يوضح موقف عائشة رضي الله عنها من القتال يوم الجمل - وقد نزلت الميدان - هو إدراكها أن المؤمنين المخلصين الذين قتلوا من الطرفين قد وقعوا ضحية مؤامرة دبرت لهم بليل، فكانت تترحم على أشخاص قتلوا في المعركة تعرفهم بأعيانهم كانوا في جيش علي

---

(١) خليفة بن خياط . **تاريخه** ، ص٩١ ؛ العمري . **عصر الخلافة** ، ص ٤١٢ . وانظر الطبري . **تاريخ الأمم والملوك** ، ج٤ ، ص ٥٣٣ ؛ ابن حجر . **فتح الباري** ، ج٨، ص ٩١ .

(٢) الطبري . **تاريخ الأمم والملوك** ، ج٤ ، ص ٥٢٧ .

(٣) نقل بعض المؤرخين أن علياً رضي الله عنه هو الذي أمر بعقر الجمل (ابن كثير . **خلافة علي** ، ص٧٩) وأمر علي رضي الله عنه بعقر الجمل إنما هو رواية أبي مخنف الشيعي ، والصحيح ما أثبتناه في المتن (يحيى بن إبراهيم اليحيى . مرويات أبي مخنف في **تاريخ الطبري** -ط١ - دار العاصمة ، ١٤١٠هـ ، ص ٢٦٩) .

(٤) ابن أبي شيبة . **المصنف** ، ج٧ ، ص ٥٤٥ ؛ ابن حجر . **فتح الباري** ، ج١٣ ، ص ٥٧ .

رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فقد روي بسند حسن عن خالد بن الواشمة أنه لما دخل على عائشة رضي الله عنها عقب المعركة مباشرة قالت له «ما فعل طلحة؟ قلت : أصيب ، قالت : إنا لله وإنا إليه راجعون ، يرحمه الله . فما فعل الزبير ؟ قلت : أصيب ، قالت : إنا لله وإنا إليه راجعون يرحمه الله . قلت : بل نحن لله وإنا إليه راجعون في زيد بن صوحان ، قالت: وأصيب زيد ؟ قلت: نعم، قالت: إنا لله وإنا إليه راجعون ، يرحمه الله . فقلت: يا أم المؤمنين ، ذكرتُ طلحة فقلتِ يرحمه الله ، وذكرتُ الزبير فقلتِ يرحمه الله، وذكرتُ زيداً فقلتِ يرحمه الله ، وقد قَتَلَ بعضُهم بعضاً ، والله لا يجمعهم الله في الجنة أبداً، قالت : أو لا تدري ! إن رحمة الله واسعة، وهو على كل شيء قدير، قال: فكانت أفضل مني»[(1)]. فهي ترحمت على زيد بن صوحان ، وأسفت على قتله ، وقد كان في جيش علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[(2)].

بقي عندنا موقف علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ من القتال يوم الجمل ، فلقد كان مجيئه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أولاً إلى البصرة للقاء طلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم بغية الاتفاق على ما اختلفوا فيه، وقد بذل جهداً لإتمام هذا الاتفاق سواء عن طريق إرسال الرسل إليهم، أو بالاجتماع بهم مباشرة في ذلك الفسطاط الذي نصبه بين المعسكرين ، ثم كان حريصاً على الكف عن القتال ، فلم يأذن بالقتال يوم الجمل إلا بعد زوال الشمس ،

---

(١) عبد الرزاق . **المصنف** ، ج١١ ، ص ٢٨٩- ٢٩٠ ؛ البيهقي . **السنن الكبرى** ؛ تحقيق عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن ·- ط١ ·- بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١١هـ / ١٩٩١م ، ج٨ ، ص ١٧٤ ؛ ابن عساكر . **تاريخ مدينة دمشق** ، ج١٩ ، ص ٤٤٣-٤٤٤ ، ٤٤٥-٤٤٦ ؛ ابن حجر . **الإصابة في تمييز الصحابة** ؛ تحقيق علي محمد البجاوي ·- بيروت : دار الجيل ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م ، ج٢ ، ص ٦٤٨ ؛ العمري . **عصر الخلافة** ، ص٤١٥ ، حاشية (٤).

(٢) ابن عساكر . **تاريخ مدينة دمشق** ، ج١٩ ، ص ٤٤٣ ، ٤٤٦ ؛ ابن حجر . **الإصابة** ، ج٢ ، ص٦٤٧ .

فنشب القتال - كما ورد بسند صحيح - بعد صلاة الظهر[١]، بالرغم من أن السبئية ورطوا الطرفين بقتال بعضهم بعضاً مع الغلس[٢]، أي منذ الصباح الباكر . وقد جاءت تفاصيل الأوامر الصادرة من علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى أفراد جيشه في رواية ليحيى بن سعيد عن عمه قال «لما تواقفنا يوم الجمل ، وقد كان علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين صفنا نادى في الناس لا يَرْمِيَن رجلٌ بسهم ، ولا يطعن برمح، ولا يضرب بسيف ، ولا تبدأوا القوم بالقتال ، وكلموهم بألطف الكلام ، وأظنه قال : فإن هذا مقام من فلج فيه فُلج يوم القيامة ، فلم نزل وقوفاً حتى تعالى النهار...»[٣]. فعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان قد أصدر أوامره الصارمة إلى أفراد جيشه بكف السلاح أياً كان نوعه، سواء السهام أو الرماح أو السيوف ، كما دعاهم إلى استخدام ألطف العبارات في خطابهم أفراد المعسكر الآخر ، ثم لم ينس أن يمزج توجيهاته تلك بالتذكير بما يلقاه العبد يوم القيامة من جزاء على أعماله ، ولا شك أن تلك الأوامر تعبر عن حرص شديد من جانب علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لتضييق دائرة ما قد يصدر من استفزازات تظل واردة الحدوث في وسط مثل تلك الحشود الكبيرة المتشعبة في عقولها ونفسياتها وتصوراتها . وحين وقعت الواقعة ، وتورط الطرفان بقتال بعضهم بعضاً ، وأخذ علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ينظر إلى ما يجري من قتل أبدى أسفاً وتألماً وحرقة على تلك الحالة ، فعن أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أن علياً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال يوم الجمل - لما رأى القتلى والرؤوس تندر - : يا حسن [يقصد ابنه] ! أي خير يرجى بعد هذا ؟ ...»[٤]. بل إنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما اشتد القتال طفق يلوذ بابنه الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

(١) ابن أبي شيبة . **المصنف** ، ج٧ ، ص٥٤٦ ؛ ابن حجر . **فتح الباري** ، ج١٣ ، ص ٥٧ .
(٢) الطبري . **تاريخ الأمم والملوك** ، ج٤ ، ص ٥٠٦ .
(٣) البيهقي . **السنن الكبرى** ، ج٨ ، ص ١٨٠ . وانظر الحاكم . **المستدرك** ، ج٦ ، ص ٢٠٥٤ .
(٤) الحاكم . **المستدرك** ، ج٦ ، ص ٢٠٥٤ .

هذا ، ويتمنى لو أن حياته انتهت قبل هذه الوقعة بعشرين سنة ، يقول الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ واصفاً حالة والده وكلامه له أثناء المعركة - كما جاء بإسناد صحيح - «لقد رأيته حين اشتد القتال يلوذ بي ، ويقول : يا حسن ! لوددت أني متُ قبل هذا بعشرين حجة»[1]. ومما يصور موقف علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من القتال في الجمل أن لديه شعوراً بأن الجانبين جُرا إلى القتال جراً من غير إرادة منهما ، ولذلك نراه يوصي جنده بتوقي قتل مخالفيهم من المعسكر الآخر قدر الاستطاعة إذ نقل زيد بن وهب - كما ورد بسند صحيح - أن علياً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال حين نشب القتال في الجمل «لا تتمموا جريحاً ، وتقتلوا مدبراً ، ومن أغلق بابه ، وألقى سلاحه فهو آمن»[2]. فالأمان يكون للجريح في المعركة ، إذ يُترك بحاله ، فلا يجهز عليه ، ويكون للمدبر الذي ترك القتال فاراً من الميدان ، فلا يتعرض له بالقتل ، كما يمنح الأمان لمن طرح سلاحه ، أو دخل بيته وأغلق بابه . وقد شهد مروان بن الحكم - وهو من معسكر أصحاب الجمل - بهذا الإجراء الذي اتخذه علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ساعتئذ ، وظل يتذكره بعد سنوات من الحادثة ، فقد روى علي بن الحسين أن مروان بن الحكم - وهو أمير بالمدينة - قال له: «ما رأيت أحداً أحسن غلبة من أبيك ، علي بن أبى طالب ، ألا أحدثك عن غلبته إيانا يوم الجمل ؟ قلت : الأمير أعلم ، قال : لما التقينا يوم الجمل تواقفنا ، ثم حمل بعضنا على بعض ، فلم ينشب أهل البصرة أن انهزموا ، فصرخ صارخ لعلي : لا يُقتل مُدبر ، ولا يذفف [أي لا يُجهز] على جريح ، ومن أغلق عليه باب داره فهو آمن ،

---

(١) ابن أبي شيبة . **المصنف** ، ج٧ ، ص ٥٤٦ ؛ نعيم بن حماد . **الفتن** ؛ تحقيق مجدي بن منصور الشورى٠- ط٣ ٠- بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م ، ص٤٩ ؛ الهيثمي . **مجمع الزوائد**٠- القاهرة : دار الريان للتراث ، ١٤٠٧هـ ، ج٩ ، ص ١٥٠ ؛ العمري . **عصر الخلافة** ، ص٤١٤، حاشية (١) . وانظر البلاذري . **جمل من أنساب الأشراف** ، ج٣ ، ص ٦٣ .

(٢) ابن أبي شيبة . **المصنف** ، ج٧ ، ص ٥٤٦ ، ابن حجر . **فتح الباري** ، ج١٣ ، ص ٥٧ .

ومن طرح السلاح فهو آمن»[1]. وإذا كانت هذه هي أوامر علي رضي الله عنه لجنده قبل المعركة، ثم كانت تلك حالته وأوامره لجنده أيضاً ساعة المعركة؛ فإن تلك الأوامر بما تحمله من شفقة وعطف على رجال المعسكر الآخر تقتضي سعياً جازماً منه رضي الله عنه لوقف القتال، وقد أشار سيف إلى أن علياً رضي الله عنه تقدم في المساء، وأحيط بالجمل، وبعد عقره، قال: «إنكم آمنون»، وحينئذ «كف بعض الناس عن بعض»[2].

- ولاستكمال تجلية حقيقة خلاف علي رضي الله عنه مع أصحاب الجمل نقف عند نظرته رضي الله عنه إلى استشهاد طلحة والزبير رضي الله عنهما اللذين قتلا دون أن يباشرا القتال في معركة الجمل، ثم موقفه من أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وقت المعركة وبعيدها. ففيما يتعلق بمقتل طلحة والزبير رضي الله عنهما فقد كان شديداً على علي رضي الله عنه، إذ حزن عليهما حزناً أفضى به إلى البكاء، فقد روى أبو جعفر عبد الله بن المسور قال «لما قتل طلحة والزبير جعل علي وأصحابه يبكون»[3]. وورد في رواية - رجال سندها ثقات - أنه لما قتل الزبير رضي الله عنه، ودفن بوادي السباع «جلس علي يبكي عليه هو وأصحابه»[4]. فحزنه على فقدهما إلى درجة أن يبكي عليهما هذا البكاء الصادق يعبر عما كان يكنه في صدره لهما من

---

(١) سعيد بن منصور. **السنن**؛ تحقيق سعد بن عبد الله آل حميد -ط١- الرياض: دار العصيمي، ١٤١٤هـ، ج٢، ص ٣٩٠. وانظر البيهقي. **السنن الكبرى**، ج٨، ص ١٨١؛ الشافعي. **الأم** -ط٢- بيروت: دار المعرفة، ١٣٩٣هـ، ج٤، ص ٢١٦؛ ابن حجر. **فتح الباري**، ج١٣، ص ٥٧.

(٢) الطبري. **تاريخ الأمم والملوك**، ج٤، ص ٥٢٧.

(٣) ابن عساكر. **تاريخ مدينة دمشق**، ج٥٢، ص ١١٥. وانظر ابن أبي شيبة. **المصنف**، ج٧، ص٥٣٦.

(٤) ابن سعد. **الطبقات**، ج٣، ص ١١٢؛ الذهبي. **سير أعلام النبلاء**، ج١، ص٦١.

محبة ومودة ، ثم ما يحمله في نفسه لشخصيهما من تقدير واحترام ، وإذا كان هذا الشعور الانفعالي الذي عبر به علي رضي الله عنه تجاه مقتل طلحة والزبير رضي الله عنهما يحتمل أنه انفعال لاإرادي نابع من شعوره رضي الله عنه بخسارة المسلمين خسارة فادحة لمثل هذين الصحابيين الجليلين دون التفات إلى اتفاقه أو اختلافه معهما - وهذا شعور غير مستبعد على رجال مثل أصحاب رسول الله ﷺ (١) - فإن الاحتمال الأقوى هو أن بكاءه عليهما بهذه الحرقة قد نشأ من كونه تيقن - ربما أثناء المعركة أو في نهايتها - أن ما حصل من قتال وقع بغير إرادتهما ، وأنهما بقيا على ما فارقهما عليه من شروع في الاتفاق على ما اختلفا عليه من قبل . وثمة رواية تصور بدقة تصرف علي رضي الله عنه حين رأى جثة طلحة رضي الله عنه، وتبين في الآن ذاته ما جاش في نفسه من مشاعر فياضة نحوه، حيث نُقل عن الشعبي قوله «رأى علي طلحة في وادٍ ملقى، فنزل فمسح التراب عن وجهه، وقال: عزيز علي أبا محمد بأن أراك مُجَدّلاً في الأودية ، تحت نجوم السماء، إلى الله أشكو عُجَري وبُجَري . قال الأصمعي : عجري وبجري : سرائري وأحزاني التي تموج في جوفي»(٢). أما الزبير رضي الله عنه فقد صح أن علياً رضي الله عنه بَشَّرَ قاتله ابن جرموز بالنار ، فعن زر بن حبيش قال : قال علي رضي الله عنه :

---

(١) ومثل هذا الشعور يتوافق مع وصف الله سبحانه لهؤلاء الصحابة الكرام في كتابه بقوله ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ (الفتح : آية ٢٩) .

(٢) الذهبي . **سير اعلام النبلاء** ، ج١ ، ص٣٦ . وانظر ابن عساكر . **تاريخ مدينة دمشق** ، ج٢٥ ، ص١١٥ . وقد روي عن طلحة بن مصرف «أن علياً انتهى إلى طلحة بن عبيد الله وقد مات ، فنزل عن دابته وأجلسه ، فجعل يمسح الغبار عن وجهه ولحيته ، وهو يترحم عليه ، وهو يقول ليتني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة» (الطبراني . **المعجم الكبير** ؛ تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي ٠- ط٢، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م ، ج١ ، ص ١١٣) وانظر الحاكم . **المستدرك** ، ج٦ ، ص ٢٠٥٥ ؛ ابن أبي شيبة . **المصنف** ، ج٧ ، ص ٥٣٩ . قال عنه الهيثمي . وإسناده حسن (**مجمع الزوائد** ، ج٩ ، ص ١٥٠) .

«بَشِّرْ قاتلَ ابنِ صفية بالنار، ثم قال علي : سمعت رسول الله ﷺ يقول (لكل نبي حواري ، وحواريّ الزبير)» [1]، ويفهم من شرح ابن حجر[2] أن تبشير علي رضي الله عنه قاتل الزبير رضي الله عنه بالنار إنما هو بحكم المرفوع إلى النبي ﷺ ، بمعنى أن علياً رضي الله عنه سمع ذلك منه . ومما يدعو للتأمل أن علياً رضي الله عنه صفع الرجل الذي تجرأ على قتل الزبير رضي الله عنه صفعة عنيفة بتبشيره بالنار ، ثم أضاف إلى ذلك ذكره منقبة للزبير رضي الله عنه كان النبي ﷺ قد خصه بها من دون أصحابه ، وترديد علي رضي الله عنه هذه العبارات عقب قتل الزبير رضي الله عنه مباشرة يلهم أنه لم يكن يحبذ مواجهته بحرب ، وأن الاختلاف معه كان في طريقه إلى الحل . ولقد ظل علي رضي الله عنه يَذْكر صاحبيه طلحة والزبير رضي الله عنهما بالذكر الحسن ، ويردد إذا جاء ذكرهما رجاءه بأن يجمعهم الله في الجنة إخواناً على سرر متقابلين . فقد روى ربعي بن حراش - بإسناد صحيح - قال «قال علي : إني لأرجو أن أكون أنا والزبير وطلحة ممن قال الله عز وجل ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾[3]، قال: فقام رجل من همدان فقال : الله أعدل من ذلك يا أمير المؤمنين ، قال : فصاح به علي صيحة إن القصر يدهده لها ، ثم قال : من هم إذا لم نكن نحن هم ؟» [4]. وقد روى أبو حبيبة - مولى طلحة - أن عمران بن طلحة دخل على علي رضي الله عنه عقب معركة الجمل

(١) أحمد . **فضائل الصحابة** ، ج٢ ، ص ٧٣٧ ؛ **المسند** (شاكر) ، ج٢ ، ص٧٩ ، ابن أبي عاصم . **السنة** ؛ تحقيق باسم بن فيصل الجوابرة -٠ ط١ -٠ الرياض : دار الصميعي ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م ، ج٢ ، ص ٩٢١ ؛ ابن حجر . **فتح الباري** ، ج٦ ، ص ٢٢٩ . والحواري يعني الناصر كما شرح ذلك سفيان (أحمد. **المسند** ، ج٢ ، ص٧٩) .

(٢) **فتح الباري** ، ج٦ ، ص ٢٢٩ .

(٣) سورة الحجرات ، الآية : ٤٧ .

(٤) أحمد . **فضائل الصحابة** ، ج٢ ، ص ٧٤٧ .

«فرحب به وأدناه ، قال: إني لأرجو أن يجعلني الله وأباك من الذين قال الله عز وجل ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾» ، ثم أخذ يسأله عن أحوال أسرته ويطمئن عليهم[1] . وفعلُ علي رضي الله عنه هذا مع عمران ابن طلحة يؤكد استمرار محبته لأبيه طلحة رضي الله عنه، وبقاء مكانته عنده بالرغم مما حصل في الجمل .

أما موقف علي رضي الله عنه من أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فكان أولاً قد احترم رأيها ، وقدر اجتهادها فيما ذهبت إليه مع طلحة والزبير رضي الله عنهما في شأن منهجهم في إصلاح ما نزل بالأمة من اختلاف ، ثم إنه فيما ظهر قد تفهم أن هدف عائشة رضي الله عنها من دخولها بجملها ميدان المعركة إنما كان لإطفاء القتال ، لكن الأمور سارت على غير ما قصدت ، فالسبئية - كما مر - وجهوا سهامهم إلى هودجها قاصدين إصابتها بسوء ، أما من معها من المؤمنين فقد سعوا لحمايتها ، كما ورد بسند صحيح عن أبي رجاء العطاردي حين سُئِل عن سبب قتاله يوم الجمل قال «ما كان إلا أن رأينا أم المؤمنين فما تمالكنا»[2]. ويلاحظ أنه فوق ما بذله علي رضي الله عنه من جهود محمودة للابتعاد عن القتال ، ثم في محاولة إيقافه ، أو تخفيف حدته وآثاره حين وقع فإنه كان حريصاً على سلامة أم المؤمنين ، فالذين أنقذوها من وسط السهام المتشابكة ، والرماح المتلاطمة هم - بعد الله تعالى - من أتباعه ، فلقد ورد بسند جيد أن عبد الله بن بديل رضي الله عنه انتهى إلى عائشة رضي الله عنها ، وبعد حديث معها وهي في هودجها على الجمل - قال «اعقروا الجمل ، فعقروه ، قال : فنزلتُ أنا وأخوها محمد بن أبي بكر ، واحتملنا الهودج حتى وضعناه

(١) الحاكم . **المستدرك** ، ج٦ ، ص ٢٠٦٠ - ٢٠٦١ . وقال . «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ، وقال الذهبي . «**صحيح**» (المصدر نفسه ، ج٦ ، ص ١٠٦١ .

(٢) ابن حجر . **فتح الباري** ، ج٨ ، ص ٩١ .

بين يدي علي ، فأمر به علي فأُدخل في منزل عبد الله بن بديل»[1]. فعبد الله بن بديل أحد أصحاب علي رضي الله عنه هو الذي أمر بعقر الجمل ، فلما سقط الجمل حل رباط الهودج الذي تستقر فيه عائشة رضي الله عنها ، وتعاون مع أخيها محمد في حمله حتى وضعاه بين يدي علي رضي الله عنه الذي يبدو أنه اطمأن على سلامتها - كما جاء ذلك صريحاً في رواية لسيف ، إذ روى أن علياً رضي الله عنه قال لها «كيف أنتِ يا أمه ؟ قالت : بخير ، قال : يغفر الله لكِ ، قالت : ولك»[2] . ثم أمر أن تنقل معززة إلى بيت عبد الله بن بديل . ومما يستوقف النظر أن علياً رضي الله عنه بمجرد أن سمع عائشة رضي الله عنها تدعو على قتلة عثمان رضي الله عنه وتلعنهم في عشية يوم الجمل سارع هو الآخر بالدعاء عليهم ولعنهم، فقد جاء بإسناد صحيح أن محمد بن علي رضي الله عنه ابن الحنفية) قال - وابن عباس جالس عنده - : «يا ابن عباس تذكر عشية الجمل ، وأنا على يمين علي في يدي الراية ، وأنت على يساره، إذ سمع هدة في المربد، فأرسل رسولاً، فجاء الرسول فقال : هذه عائشة تلعن قاتل عثمان في المربد ، قال : فرفع يده حتى بلغ بهما وجهه مرتين أو ثلاثاً ، قال : وأنا ألعن قتلة عثمان لعنهم الله في السهل والجبل»[3]. وفي رواية أن الرجل الذي أرسله ليستطلع حقيقة الأمر قال «هذه عائشة تلعن قتلة عثمان ، والناس يؤمنون ، فقال علي : وأنا ألعن قتلة عثمان

---

(١) ابن أبي شيبة . **المصنف** ، ج٧ ، ص ٥٤٥ ؛ ابن حجر . **فتح الباري** ، ج١٣ ، ص ٥٧ .

(٢) الطبري . **تاريخ الأمم والملوك** ، ج٤ ، ص٥٢٤ . انظر سيف بن عمر . **الجمل ومسير عائشة وعلي** ، ص٣٥٢ .

(٣) أحمد . **فضائل الصحابة** ، ج١ ، ص ٤٥٥ ؛ ابن أبي شيبة . **المصنف** ، ج٧ ، ص٥٣٩ ؛ ابن شبة. **أخبار المدينة النبوية** ؛ تحقيق علي محمد دندل وياسين سعد الدين بيان ٠- ط١ ٠- بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م ، ج٢ ، ص٢٧٩ ؛ ابن عساكر . **تاريخ مدينة دمشق** ، ج٣٩ ، ص ٤٥٥ . والنص من ابن عساكر .

في السهل والجبل ، اللهم العن قتلة عثمان ، اللهم العن قتلة عثمان في السهل والجبل»[١]. فعلي رضي الله عنه أيد أم المؤمنين على فعلها نحو قتلة عثمان ، فهو لم يبد رضاه بما فعلته وكفى ، بل اقتدى بها في فعلها ، فأخذ يدعو عليهم ويلعنهم بصوت مسموع يشهده ويسمعه جنده الذين كانوا معه ، حيث كان يقوله «اللهم العن قتلة عثمان ، اللهم العن قتلة عثمان في السهل والجبل» ، وطفق يكرر ذلك مرتين أو ثلاثاً، رافعاً يديه إلى درجة أنه صار «يُرى بياض إبطيه»[٢] علامة على شدة ابتهاله إلى الله ، وإخلاصه في الدعاء عليهم . وكون علي رضي الله عنه صنع مثلما صنعت عائشة رضي الله عنها تجاه قتلة عثمان رضي الله عنه عشية يوم الجمل[٣] - أي قبيل غروب شمس يوم المعركة أو بعيد غروبها حسب تحديد أهل اللغة للعشية[٤] - كونه يصنع ذلك فإنه يدل على اتفاق رأيه معها على أمر أكدناه سابقاً وهو تجريم هؤلاء القتلة ، بل قد يلهم أن الاتفاق على صيغة للقصاص منهم في سبيلها إلى التنفيذ قبل نشوب القتال . ومما يصور حسن علاقة علي رضي الله عنه بأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها توافد خواص أنصاره وعوامهم عليها في مقر إقامتها في البصرة عقب وقعة الجمل، فعلى سبيل التمثيل زارها في يوم الجمل بعد الوقعة مباشرة عمار بن ياسر رضي الله عنه - وهو من خواص علي رضي الله عنه - وبصحبته الأشتر ، وقد عاتبتهما عتاباً رقيقاً ، وذكَّرتْ

---

(١) ابن عساكر . **تاريخ مدينة دمشق** ، ج٣٩ ، ص ٤٥٦ .

(٢) ابن شبة . **أخبار المدينة** ، ج٢ ، ص ٢٧٩ .

(٣) جاء في رواية لسيف أن عائشة رضي الله عنها أخذت بلعن قتلة عثمان رضي الله عنه في أثناء القتال ، وأن علياً رضي الله عنه لعنهم أيضاً حين سمعها تفعل ذلك (**الجمل ومسير عائشة وعلي**، ص ٣٣١ ؛ الطبري . **تاريخ الأمم والملوك** ، ج٤ ، ص ٥١٣) .

(٤) انظر الزبيدي . **تاج العروس**؛ تحقيق علي شيري -- بيروت: دار الفكر ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م ، ج١٩، ص٦٧٧.

عماراً رضي الله عنه خاصة بحرمة قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق[1]، كما زارها من أنصار علي رضي الله عنه خالدُ بنُ الواشمة الذي سألته عن مصير طلحة والزبير رضي الله عنهما وعن مصير زيد بن صوحان الذي ترحمت عليه وهو من أتباع علي رضي الله عنه وقد سقنا نص الخبر كاملاً في فقرة ماضية .

ومن المفيد هنا الإشارة إلى أن النبي ﷺ كان قد أوصى علياً رضي الله عنه بعائشة رضي الله عنها ، إذ ورد بإسناد حسن عن أبي رافع أن رسول الله ﷺ قال لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه «إنه سيكون بينك وبين عائشة أمر ، قال : أنا يا رسول الله ؟ قال : نعم ، قال : أنا ؟ قال : نعم ، قال : فأنا أشقاهم يا رسول الله ، قال : لا ، ولكن إذا كان ذلك فارْدُدها إلى مأمنها»[2]. ومن المقطوع به أن صحابياً مثل علي رضي الله عنه سيجعل هذه الوصية النبوية نصب عينيه ، ولذلك فإن ما رواه سيف بن عمر[3] - بالرغم من تضعيف أهل الحديث له - من قيام علي رضي الله عنه بتجهيز عائشة رضي الله عنها من البصرة معززة مكرمة وردها إلى الحجاز هو المنتظر منه رضي الله عنه، ولعله من المناسب أن نسوق رواية سيف بنصها ، تقول الرواية «وجهز علي عائشة بكل شيء ينبغي لها من مركب وزاد ومتاع ، وأخرج معها كل من نجا ممن خرج معها ، إلا من أحب المقام ، واختار لها أربعين امرأة من نساء أهل البصرة المعروفات ، وقال تجهز يا محمد [يقصد أخاها] فبلغها ، فلما كان اليوم الذي ترتحل فيه جاءها حتى وقف لها ، وحضر الناس ، فخرجت على الناس ، وودعوها وودعتهم ، وقالت : يا بَني يَعتّب

(١) الحاكم . **المستدرك** ، ج٨ ، ص ٢٨٥٩ . وقال عن هذا الخبر «صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه» ، ووافقه الذهبي (المصدر نفسه ، الصفحة نفسها) .

(٢) أحمد . **المسند** ، ج٦ ، ص ٣٩٣ ؛ الهيثمي . **مجمع الزوائد** ، ج٧ ، ص ٢٣٤ ؛ ابن حجر . **فتح الباري**، ج١٣ ، ص ٥٥ .

(٣) **الجمل ومسير عائشة وعلي** ، ص٣٦٨ - ٣٦٩ ؛ الطبري . **تاريخ الأمم والملوك** ، ج٤ ، ص٥٤٤ .

بعضُنا على بعض استبطاء واستزادة ، فلا يعتدّنّ أحدٌ منكم على أحد بشيء بلغه من ذاك ، إنه والله ما كان بيني وبين علي في القديم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها ، وإنه عندي على معتبتّي من الأخيار . وقال علي : يا أيها الناس صدقتْ والله وبرت ، ما كان بيننا وبينها إلا ذاك ، وإنها لزوجة نبيكم ﷺ في الدنيا والآخرة ، وخرجت يوم السبت لغرة رجب سنة ست وثلاثين ، وشيعها علي أميالاً ، وسرح بنيه معها يوماً» . ولقد ظل علي رضي الله عنه يحفظ لعائشة رضي الله عنها منزلتها ، فجاء بسند حسن عن عاصم بن كليب عن أبيه قال «انتهينا إلى علي رضي الله عنه فذكر عائشة ، فقال : خليلةُ رسول الله ﷺ»(1). كما أنها من جهتها ظلت تحفظ لعلي رضي الله عنه منزلته ، فكانت تثني عليه خيراً إذا ذكر ، من ذلك أنها حين سألت عبد الله بن شداد عن قصة علي رضي الله عنه مع الخوارج بعد استشهاده قالت - كما ورد بإسناد صحيح - «يرحم الله علياً ، إنه كان من كلامه لا يرى شيئاً يعجبه إلا قال : صدق الله ورسوله»(2).

- وشيء نرى الوقوف عنده من الأهمية بمكان في نهاية المطاف وثيق الصلة بموضوعنا وهو أن بعض المؤرخين لما كتبوا عن وقعة الجمل ساقوا أحداثها على أن القتال فيها نشب عقب ملاسنات شديدة بين علي رضي الله عنه وأصحاب الجمل ، ثم إصرار من قبل عائشة رضي الله عنها على خوض المعركة من جهة ، واستنفار غير عادي من علي رضي الله عنه للقتال من جهة أخرى ، ثم تشجيع كل طرف أتباعه على الاستبسال في القتال ، فكانت النتيجة الطبيعية لهذا الواقع - سواء قصد هؤلاء المؤرخون هذه النتيجة ، أو تركوا للقارئ أن يقدرها هو بنفسه - كثرة عدد القتلى ، فقيل إن قتلى

---

(1) الذهبي . **سير اعلام النبلاء** ، ج٢ ، ص ١٧٧ .

(2) أحمد . **المسند** (شاكر) ، ج٢ ، ص ٦٨ ؛ البيهقي . **السنن الكبرى** ، ج٨ ، ص ٠٨١ ؛ ابن كثير . **خلافة علي** ، ص ١١٣ .

وقعة الجمل من الطرفين يزيدون على ستة آلاف[١] ، وقيل سبعة آلاف[٢]، وقيل عشرة آلاف[٣]، وقيل ثلاثة عشر ألفاً[٤]، وقيل ثمانية عشر ألفاً[٥]، وقيل عشرون ألفاً[٦]، بل أوصلهم اليعقوبي[٧] إلى نيف وثلاثين ألفاً .

والدارس لوقعة الجمل مقلباً بصره فيما صح من روايات حولها ، ثم متأملاً في ظروفها ، من حيث أسباب حدوثها ، والعصر الذي جرت فيه ، وطبيعة القتال فيها - لابد أن يبقى شاكاً بدرجة كبيرة في صحة تلك الأرقام التي انتهت إلينا في تقدير عدد قتلاها ، والبراهين التي تعزز هذا الشك عديدة ؛ منها ما أثبتناه على مدى الصفحات السالفة من وجوه متعددة ، وزوايا مختلفة في أن ما حصل من اختلاف في الرأي بين علي رضي الله عنه وأصحاب الجمل رضي الله عنهم لم يكن منذ بدايته من الاتساع والجفوة بالصورة التي تعرضه كتابات بعض الكتاب والمؤرخين ، ثم أنه كان وقت اشتعال المعركة في طريقه إلى الزوال ، وبذلك لم يكن ذلك الاختلاف ذا مفعول مؤثر في تأجيج حدة القتال بين الطرفين ، ومن ثم كثرة القتلى . ومنها ما عرضناه آنفاً من أثر الصحابة الكرام - رؤساء المسلمين الأربعة - علي وعائشة والزبير وطلحة رضي الله عنهم في الحيلولة دون وقوع القتال ثم إيقافه حين نشوبه،

---

(١) الطبري . **تاريخ الأمم والملوك** ، ج٤ ، ص ٥٤٥ .

(٢) خليفة بن خياط . **تاريخه** ، ص ١٨٦ .

(٣) الطبري . **تاريخ الأمم والملوك** ، ج٤ ، ص ٥٣٩ .

(٤) خليفة بن خياط . **تاريخه** ، ص ١٨٦ .

(٥) المسعودي . **مروج الذهب ومعادن الجوهر** ؛ تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد .- ط٥.- الرياض: مكتبة الرياض الحديثة ، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م ، ج٢ ، ص ٣٦٠ .

(٦) خليفة بن خياط . **تاريخه** ، ص ١٨٦ ؛ البلاذري . **جمل من أنساب الأشراف** ، ج٣ ، ص ٥٩ .

(٧) **تاريخ اليعقوبي** .- بيروت : دار صادر ، ج٢ ، ص ١٧٥ .

متمثلين بلا ريب حرمة قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق[١] ، فالزبير رضي الله عنه نأى بنفسه عن القتال، وطلحة رضي الله عنه أصيب بسهم غادر قاتل في أول الاشتباك بين الطرفين وهو يسعى لتهدئة المقاتلين، وعائشة رضي الله عنها دخلت مُخاطِرَة بنفسها لكف الناس بعضهم عن بعض، وعلي رضي الله عنه أصدر أوامره المشددة لجنده ألا يبدأوا بقتال ، وأن يتجنبوا القتال ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً[٢]، ثم لا يجهزوا على جريح ، ولا يلحقوا بمدبر ، ويعطوا الأمان لمن طرح السلاح ، أو دخل بيته ، وأغلق بابه ؛ كل هذه التحركات والإجراءات من رؤوس الفريقين من شأنها أن تقلل من عدد القتلى في هذه الوقعة. ومما نراه مؤشراً على قلة عدد قتلى الجمل أن القتال لما وقع فيها لم يدم سوى وقت قصير جداً، فلم يكن سبعة أيام كما زعمت بعض الروايات[٣]، بل كان نصف يوم فقط ، حيث ثبت بسند صحيح عن زيد بن وهب أن القتال نشب «بعد صلاه الظهر ، فما غربت الشمس وحول الجمل عين تطوق ممن كان يذب عنه»[٤]، فقتال نصف يوم بين جيشين يتحرج كثير من أفراده قتال الآخر، وفي زمن

---

(١) من ذلك أن عمار بن ياسر رضي الله عنه والأشتر جاءا إلى عائشة رضي الله عنها مساء يوم المعركة ، وتحدثا معها ، وكان الأشتر قد تقاتل مع عبد الله بن الزبير فقالت له «أما والله لو قتلته ما أفلحت ، فأما أنت يا عمار فقد علمتَ أن رسول الله ﷺ قال . «لا يُقتل إلا أحدُ ثلاثة . رجل قتل رجلاً فقتل به ، ورجل زنى بعد ما أحصن ، ورجل ارتد عن الإسلام» (الحاكم . **المستدرك**، ج٨ ، ص ٢٨٥٩) وقال عنه . «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ، وقال الذهبي . «صحيح» (المصدر نفسه ، الصفحة نفسها) .

(٢) وقد أكد علي رضي الله عنه على استخدام هذا النهج في المواجهة مع المعسكر الآخر في قوله لعمار رضي الله عنه حين ناقشه في مسألة السبي في الجمل «إنما قاتلنا من قاتلنا» (ابن أبي شيبة . **المصنف** ، ج٧ ، ص ٥٣٩) .

(٣) **الإمامة والسياسة** ، ص ٧٢ .

(٤) ابن أبي شيبة . **المصنف** ، ج٧ ، ص ٥٤٦ ، ابن حجر . **فتح الباري** ، ج١٣ ، ص٥٧ .

كانت فيه المعارك الحربية تبدأ بالمبارزة ، فتأخذ المبارزة أكثر وقت القتال ، فلا يبقى للتصادم الجماعي إلا القليل[1] ، لا شك أن القتلى سيكون عددهم قليلاً . ومن الأمور التي تجعلنا نشكك في عدم صحة ما ورد في كتب المؤرخين من أرقام مبالغ فيها عن عدد قتلى الجمل: أن الجنود الذين خاضوا المعركة ، وشاركوا مشاركة حقيقية في القتال من المرجح أن تكون أعدادهم غير كبيرة ، فالباحثون الذين حاولوا أن يحددوا عدد جيش علي رضي الله عنه في الجمل - مثلاً - حددوه من خلال أقوال المؤرخين القدامى عن تجمعات الناس حول علي رضي الله عنه عند أول قدومه إلى العراق[2]، وليس عند حدوث القتال في الجمل ، وفرق بين الحالتين ، فصحيح أن الناس من أهل العراق انثالوا على علي رضي الله عنه ، وكذلك على أصحاب الجمل ، لكن ما حصل من تطورات قلل نسبة الملتحقين بالجيشين كليهما .. من هذه التطورات مساعي الصلح بين الجانبين التي كانت في سبيلها إلى النجاح ، وهذه من شأنها أن تمنح الجند وقتاً من الاسترخاء وعدم المرابطة في الميدان ، ومنها اعتزال بعضهم معسكر الفريقين حينما صار كل واحد في مواجهة الآخر احترازاً وخوفاً من وقوع القتال بينهما كما فعل سليمان بن صرد رضي الله عنه[3]، ومنها الوقوف في وجوه الذين استعدوا للمشاركة في القتال يوم المعركة ، ونصحهم بالكف عن ذلك ، مثلما فعل أبو بكرة الثقفي رضي الله عنه، فقد ثبت عن الأحنف بن قيس قال «ذهبت لأنصر هذا الرجل [يعني علياً رضي الله عنه يوم الجمل[4]] فلقيني أبو بكرة ، فقال : أين تريد ؟ قلت : أنصر هذا الرجل ، قال :

---

(١) العش . **الدولة الأموية** ، ص٣٦١ .

(٢) اليحيى . **مرويات أبي مخنف** ، ص ٢٦٣ ؛ الغيث . **استشهاد عثمان** ، ص ٢١٣ . انظر الطبري. **تاريخ الأمم والملوك** ، ج٤ ، ص ٥٠٦ .

(٣) ابن أبي شيبة . **المصنف** ، ج٧ ، ص ٥٤٣ ؛ نعيم بن حماد . **الفتن** ، ص ٥٦ .

(٤) ابن حجر . **فتح الباري** ، ج١٢ ، ص ١٩٧ ، ج١٣ ، ص ٥٦ .

ارجع ! فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول (إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار، فقلت : يا رسول الله هذا القاتل ، فما بال المقتول ؟ قال : إنه كان حريصاً على قتل صاحبه») [١]. واللافت أن علياً رضي الله عنه نفسه كان من البداية يرحب بعدم مشاركة بعض الأشخاص ومن معهم إذا كانت عدم مشاركتهم ستفيد في كف جموع من الناس عن الاحتشاد إلى أي من الفريقين ، حيث روي أن الأحنف بن قيس أرسل إلى علي رضي الله عنه في الأيام الأولى لوصوله البصرة يقول له «إن شئتَ أتيتُك، وإن شئتَ كففتُ عنك أربعة آلاف سيف ، ... فأرسل إليه؛ كف من قدرتَ على كفه» [٢]، وقد صح أن الأحنف اعتزل « معه ستة آلاف» [٣]. وبناء على ما سبق نرى أن ما عرضه الدكتور يوسف العش[٤] عند مناقشته عدد قتلى الجمل كان موفقاً إلى حد بعيد ، فبعد إشارته إلى الرواية التي تزعم أن قتلى الجمل عشرة آلاف ، نصفهم من أصحاب علي رضي الله عنه ، ونصفهم من أصحاب عائشة رضي الله عنها [٥] - قال رحمه الله «ويعنى هذا أن عدد القتلى من أصحاب علي خمسة آلاف ! وانظر إلى الخبر الآتي الذي يدل على عدد الذين نجوا من جيش علي . فإن علياً (لما فرغ من بيعة أهل البصرة ، نظر في بيت المال ، فإذا فيه ستمائة ألف وزيادة ، فقسمها على من

(١) البخاري . **الصحيح** ، ج٤ ، ص ٢٠-٢١ ، ج٦ ، ص٢٥٢٠ ، ٢٥٩٤-٢٥٩٥ ؛ مسلم . **الصحيح** ، ج٤ ، ص ٢٢١٤ .

(٢) الطبري . **تاريخ الأمم والملوك** ، ج٤ ، ص ٥٠٠-٥٠١ ؛ ابن حجر . **فتح الباري**، ج١٣ ، ص ٣٥ .

(٣) ابن أبي شيبة . **المصنف** ، ج٦ ، ص ١٩٧ ، ج٧ ، ص ٥٤١ ؛ الطبري . **تاريخ الأمم والملوك** ، ج٤، ص ٤٩٨؛ ابن حجر . **فتح الباري** ، ج١٣ ، ص ٤٣ . وفق ابن حجر بين ما يبدو من إشكال حول موقف الأحنف في البداية من علي رضي الله عنه ، ثم حمله السلاح لنصرته حتى اعترض سبيله أبو بكرة «ابن حجر . **فتح الباري** ، ج١٣ ، ص ٣٥) .

(٤) **الدولة الأموية** ، ص ٣٦١ .

(٥) الطبري . **تاريخ الأمم والملوك** ، ج٤ ، ص ٥٣٩ .

شهد معه [معركة الجمل] ، فأصاب كل رجل منهم خمسمائة)[١]. وكان علي يسوى في العطاء . وحساب بسيط[٢] يدلنا على عدد هؤلاء الناجين ، فهم بالحساب لا يزيدون كثيراً على ألف ومائتي مقاتل سوى الخدم والعبيد ، فهل يُعقل أن يكون عدد القتلى من المنتصرين خمسة آلاف ، وعدد الناجين منهم ألفاً ومائتين ؟ أنت ترى أن المؤرخين يقدمون أرقاماً وهمية يجب ألا نهتم بها» . ويرى الدكتور خالد الغيث[٣] أن عدد القتلى في الجمل كان ضئيلاً، وترجح لديه أنهم لا يتجاوزون المائتين بعد أن برر ذلك بعدة أسباب هي: قصر مدة القتال ، والطبيعة الدفاعية في قتال كلا الفريقين، وتحرج كل فريق من القتال لعلمهم بحرمة دم المسلم ، وبقياس عدد قتلى الجمل بما خلفته معارك شرسة وقوية كاليرموك والقادسية من قتلى ، وكون الذين حفظت أسماؤهم من قتلى الجمل يقاربون المائة فقط .

وهكذا تتبعنا فيما مضى مسار خلاف أمير المؤمنين علي رضي الله عنه مع عائشة وطلحة والزبير رضي الله عنهم منذ خروج هؤلاء الأخيرين من مكة حتى نهاية وقعة الجمل الحادثة في البصرة من أرض العراق ، فعرفنا هدفهم الصريح من ذلك الخروج المبني على الإصلاح بين المسلمين ، كما وقفنا على موقف علي رضي الله عنه منهم القائم على احترام وجهة نظرهم ، ثم عرفنا ما جرى من تقارب في الرأي حول ما اختلفوا عليه لولا المؤامرة التي دبرت ضدهم جميعاً بإنشاب القتال بين أتباعهم في وقعة الجمل .

---

(١) الطبري . **تاريخ الأمم والملوك** ، ج٤ ، ص ٥٤١ . ويلاحظ أن كلا الروايتين اللتين استشهد بهما العش هما من رواية سيف عن محمد وطلحة .

(٢) ويقصد بكلمة بسيط أي يسير أو سهل .

(٣) **استشهاد عثمان** ، ص ٢١٤-٢١٥ .

الخاتمة

وبعد أن قلبنا صفحات هذا البحث صفحة بعد صفحة متتبعين خلاف أمير المؤمنين علي رضي الله عنه مع أصحاب الجمل رضي الله عنهم نوجز في نقاط مركزة أهم النتائج التي لاحت لنا :

- تبين أن نشوء الخلاف بين أمير المؤمنين علي رضي الله عنه من طرف وأم المؤمنين عائشة وطلحة والزبير رضي الله عنهم من طرف آخر لم يحصل بمجرد البيعة لعلي رضي الله عنه بالخلافة ، بل حصل بعد مدة ليست بقصيرة من بيعته .
- رأينا أن علياً رضي الله عنه وأصحاب الجمل كانت رؤيتهم في بادئ الأمر واحدة حول إرجاء الاقتصاص من قتلة عثمان رضي الله عنه حتى يستتب الأمن ، وتتوحد الكلمة ، فيصبح الجو مناسباً للوصول إلى أعيان أولئك القتلة ، لكن استمرار الأحوال على ما كانت عليه بالرغم من مرور بضعة أشهر ، ثم ظهور بؤر جديدة للخلاف بين المسلمين في أمصار الدولة جعلت عائشة وطلحة والزبير رضي الله عنهم بحكم مرجعيتهم الشرعية ، وحرصهم على تطبيق مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - جعلتهم يتبنون مشروعاً قصدوا فيه إصلاح ذات بين المسلمين ، وإعادة الوحدة إلى صفوفهم ، وقد رأوا أن أول مقومات نجاح هذا المشروع ، وتقبل المسلمين له هو العمل على تنفيذ القصاص من قتلة الخليفة المظلوم عثمان رضي الله عنه .
- تبين لنا أن بدايات الخلاف بين علي رضي الله عنه وأصحاب الجمل نشأت بعد تبني هؤلاء الأخيرين مشروعهم الذي رأوه كفيلاً بإصلاح وضع المسلمين ، فالخلاف عند الذين تبنوا ذلك المشروع لم ينطلق من خلفيات سابقة، أو رواسب قديمة ، أو مطامع دنيوية ، أو دوافع نفسية كامنة كما تصوره بعض روايات الإخباريين القدامى ومن تبعهم من الكتاب المحدثين .

- انكشف لنا أن خلاف علي رضي الله عنه مع أصحاب الجمل لم يكن بالحدة التي يصوره بعضهم ، فقد رأى علي رضي الله عنه أن من حق هؤلاء الصحابة العمل على إقامة أحكام الله ، ورأب الصدع ، ولم الشمل ، وإن لم يوافقهم في الأسلوب الذي انتهجوه . فهو لم يطاردهم حين علم بخروجهم من مكة إلى العراق ، بل تركهم وشأنهم ، حيث سلك طريق الكوفة مع علمه بمسيرهم عبر طريق البصرة .
- تبين لنا أن علياً رضي الله عنه سعى إلى تقريب وجهات النظر بينه وبين أصحاب الجمل حين وصل إلى البصرة عن طريق إرساله بعض أصحابه إليهم ، ثم أقام فسطاطاً بين المعسكرين للاجتماع بطلحة والزبير رضي الله عنهما اللذين كانا قد اقتنعا بعد معالجتهما للأوضاع في العراق ، ومراسلة علي رضي الله عنه لهما بأن أفضل الطرق للوقوف أمام المتآمرين هو الترتيب مع خليفة المسلمين علي رضي الله عنه نفسه .
- اتضح لنا أن القتال في معركة الجمل اندلع بغير اختيار من علي وطلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم، فقد كان فخاً دبره المتآمرون ليستمر مسلسل الفتنة بين المسلمين، حيث قام السبئية المندسون في المعسكرين بإنشاب القتال بين الطرفين.
- وفي تتبعنا لمواقف هؤلاء الصحابة عند نشوب القتال في الجمل توصلنا إلى أنهم كانوا حريصين على حقن دماء المسلمين ، والابتعاد عن القتال ، فالزبير رضي الله عنه ترك الميدان قبل نشوب القتال ، وطلحة رضي الله عنه استشهد في أول المعركة وهو يناشد الناس بالكف عن القتال، وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها خاطرت بنفسها، ودخلت الميدان لوقف القتال حتى تعرض هودجها من كل جانب للسهام، وأما علي رضي الله عنه فقد كان هو الآخر حريصاً على الكف عن القتال، حيث ظهر ذلك في أوامره المشددة إلى أتباعه أن لا يبدأوا بقتال، ولا يجهزوا على جريح ، ولا يتعقبوا مدبراً، وأن يعطوا الأمان لمن يكف سلاحه أو يدخل بيته .

- تبين لنا أن علاقة علي رضي الله عنه بطلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم ظلت تسودها المحبة والاحترام لتفهم كل واحد منهم قصد الآخر الذي يهدف في النهاية إلى مصلحة المسلمين ، وقد حزن علي رضي الله عنه على مقتل أخويه طلحة والزبير رضي الله عنهما إلى درجة البكاء الصادق عليهما ، وسأل الله أن يجمعه بهما في الجنة على سرر متقابلين . أما أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فقد حرص على سلامتها حين كانت في ساحة المعركة ، ثم أعادها بعد ذلك إلى المدينة معززة مكرمة .

والحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

المصادر والمراجع

أولاً - المصادر :

- القرآن الكريم .
- أحمد ، الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ / ٨٥٥ م) . **فضائل الصحابة** ؛ تحقيق وصي الله بن محمد عباس ·- ط١ ·- مكة : جامعة أم القرى ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م . **مسند الإمام أحمد بن حنبل** ؛ إعداد علي حسن الطويل؛ إشراف سمير طه المجذوب ·- ط١·- بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م؛ وتحقيق أحمد محمد شاكر ·- مصر : دار المعارف ، ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م .
- الباجي ، أبو الوليد سليمان بن خلف (ت ٤٧٤ هـ / ١٠٨١م) . **التعديل والتجريح**؛ حققه أبولبابة حسين·- ط١ ·- الرياض : دار اللواء ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .
- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ / ٨٧٠ م) . **التاريخ الأوسط** ؛ تحقيق محمود إبراهيم زايد ·- ط١ ·- حلب : دار الوعي ، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م . **الصحيح** ؛ تحقيق مصطفى البغا ·- ط٥ ·- دمشق ، بيروت : دار ابن كثير ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م .
- البسوي، أبو يوسف يعقوب بن سفيان (ت ٢٧٧هـ/ ٨٩٠م) . **المعرفة والتاريخ**؛ تحقيق أكرم ضياء العمري ·- ط٢ ·- بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
- البلاذري ، أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢م) . **جمل من أنساب الأشراف** ؛ تحقيق سهيل زكار ورياض زركلي ·- ط١ ·- بيروت : دار الفكر ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م .
- ابن بلبان ، الأمير علاء الدين علي بن بلبان (ت ٧٣٩هـ / ١٣٣٨م) . **صحيح ابن**

حبان بترتيب ابن بلبان ؛ تحقيق شعيب الأرنؤوط ·- ط٢ ·- بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م .

- البيهقي ، أبو بكر أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨ هـ / ١٠٦٥م) . **السنن الكبرى** ؛ تحقيق عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن ·- ط١ ·- بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١١هـ / ١٩٩١م .

- الترمذي ، أبو عيسى محمد بن عيسى (ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢م) . **السنن** (مطبوع مع تحفة الأحوذي) ؛ تحقيق علي معوض وعادل عبد الموجود ·- ط١ ·- بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

- ابن تيمية، أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم (٧٢٨ هـ/ ١٣٢٨ م). **منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية**؛ تحقيق محمد رشاد سالم·- ط١·- الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .

- ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م) . **العلل المتناهية** ؛ تحقيق خليل الميس ·- ط١ ·- بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٣هـ .

كتاب الضعفاء والمتروكين ؛ تحقيق عبد الله القاضي ·- ط١ ·- بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٦هـ .

- ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد (ت ٣٢٧هـ/ ٩٣٨م) . **الجرح والتعديل** ·- ط١ ·- بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ١٣٧١هـ / ١٩٥٢م .

- الحاكم ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري (ت ٤٠٥هـ / ١٠١٤م) . **المستدرك على الصحيحين** ؛ تحقيق حمدي الدمردا ش محمد ·- ط١ ·- مكة : مكتبة مصطفى الباز ، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠ م .

- ابن حبان ، أبو حاتم محمد بن حبان البستي (ت ٣٥٤هـ / ٩٦٥ م) . **كتاب**

المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين ؛ تحقيق محمود إبراهيم زايد ٠- ط١ ٠- حلب : دار الوعي ، ١٣٩٦هـ .

- ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٩م). **الإصابة في تمييز الصحابة** ؛ تحقيق علي محمد البجاوي ٠- بيروت : دار الجيل، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م . **تقريب التهذيب**؛ تحقيق صغير أحمد شاغف الباكستاني٠- ط٢٠- الرياض: دار العاصمة، ١٤٢٣هـ . **تهذيب التهذيب** ٠- ط١ ٠- بيروت: دار الفكر، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م . **فتح الباري شرح صحيح البخاري** ٠- بيروت : دار المعرفة . **لسان الميزان** ٠- ط٣ ٠- بيروت : مؤسسة الأعلمي ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .
- ابن حزم ، أبو محمد علي بن أحمد (ت ٤٥٦هـ / ١٠٦٣م) . **الفصل في الملل والأهواء والنحل** ؛ تحقيق محمد إبراهيم نصر وعبد الرحمن عميرة ٠- بيروت : دار الجيل ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .
- الخطيب البغدادي ، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠م) . **تاريخ بغداد** ٠- بيروت : دار الكتب العلمية . الكفاية في معرفة أصول علم الرواية ؛ تحقيق إبرهيم بن مصطفى الدمياطي ٠- ط١ ٠- مصر : دار الهدى ، ميت غمر ، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣ م .
- خليفة بن خياط ، أبو عمرو خليفة بن خياط بن أبي هبيرة العصفري (ت ٢٤٠هـ/ ٨٥٤ م) . **تاريخ خليفة بن خياط** ؛ تحقيق أكرم ضياء العمري٠- ط٢ ٠- بيروت : دار القلم - مؤسسة الرسالة ، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م .
- الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٨م) . **تاريخ الإسلام** ، عهد الخلفاء الراشدين ؛ تحقيق عمر عبد السلام تدمري ٠- ط١ ٠- بيروت : دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م . **سير أعلام النبلاء** ؛ تحقيق

شعيب الأرنؤوط ٠- ط٨ ٠- بيروت : مؤسسة الرسالة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م . **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**؛ تحقيق علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود٠- ط١ ، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٥م .

- الزبيدي ، محب الدين أبو الفيض السيد محمد مرتضى (ت ١٢٠٥هـ / ١٧٩١م) . **تاج العروس** ؛ تحقيق علي شيري ٠- بيروت : دار الفكر ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م .
- ابن سعد ، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع (ت ٢٣٠هـ / ٨٤٤ م) . **الطبقات الكبرى** ٠- بيروت : دار صادر .
- سعيد بن منصور ، سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني (ت ٢٢٧هـ / ٨٤١م) . **السنن** ؛ تحقيق سعد بن عبد الله آل حميد ٠- ط١ ٠- الرياض : دار العصيمي ، ١٤١٤هـ .
- سيف بن عمر ، أبو عبد الله سيف بن عمر الضبي الأسيدي التميمي (ت حوالي ١٨٠هـ / ٧٩٦م) . **كتاب الردة والفتوح وكتاب الجمل ومسير عائشة وعلي** ؛ تحقيق قاسم السامرائي ٠- ط٢ ٠- الرياض : دار أمية ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م .
- الشافعي : الإمام محمد بن إدريس (ت ٢٠٤هـ / ٨١٩م) . **الأم** ٠- ط٢ ٠- بيروت: دار المعرفة ، ١٣٩٣هـ.
- ابن شبة ، أبو زيد عمر بن شبة النميري البصري (ت ٢٦٢هـ / ٨٧٥م) . **أخبار المدينة النبوية** (تاريخ المدينة المنورة) ؛ تحقيق علي محمد دندل وياسين سعد الدين بيان ٠- ط١ ٠- بيروت : دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م .
- ابن أبي شيبة ، أبو بكر عبد الله بن محمد (ت ٢٣٥هـ / ٨٤٩م) . **المصنف** ؛ تحقيق كمال يوسف الحوت٠- ط١ ٠- الرياض : مكتبة الرشد ، ١٤٠٩هـ .
- الطبراني ، أبو القاسم سليمان بن أحمد (ت ٣٦٠هـ / ٩٧٠م) . **المعجم الكبير** ؛

تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي٠- ط٢، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م.

- الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م) . **تاريخ الأمم والملوك** : تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ٠- بيروت : دار سويدان .

- ابن أبي عاصم، أبو بكر أحمد بن عمرو الشيباني (ت ٢٨٧هـ/ ٩٠٠ م). **السنة**: تحقيق باسم بن فيصل الجوابرة ٠- ط١٠- الرياض : دار الصميعي، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.

- عبد الرزاق ، عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت ٢١١هـ / ٨٣٥م) . **المصنف** ٠- ط٢ ٠- بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٤٠٣هـ .

- ابن عدي ، أبو أحمد بن عدي بن عبد الله (ت ٣٦٥هـ / ٩٧٥م) . **الكامل في ضعفاء الرجال** ؛ تحقيق يحيى مختار غزاوي ٠- ط٣ ٠- بيروت : دار الفكر ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م .

- ابن العربي ، أبو بكر محمد بن عبد الله المعافري (ت ٥٤٣هـ / ١١٤٧م) . **أحكام القرآن** ؛ تحقيق عبد الرزاق المهدي ٠- ط١ ٠- بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م . **العواصم من القواصم** ؛ تحقيق محب الدين الخطيب ، وخرج أحاديثه محمود مهدي الإستانبولي ٠- ط١٠- القاهرة : دار الكتب السلفية، ١٤٠٥هـ .

- ابن عساكر، أبو القاسم علي بن حسن بن هبة الله (ت ٥٧١هـ/ ١١٧٥م) . **تاريخ مدينة دمشق**؛ تحقيق عمر بن غرامة العمروي ٠- بيروت: دار الفكر، ١٩٩٥م.

- ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن أبي بكر بن غالب (ت ٥٤١هـ/ ١١٤٧م) . **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** ؛ تحقيق المجلس العلمي بتارودانت ، ط. المغرب ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م .

- العيني ، بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد (ت ٨٥٥هـ / ١٤٥١م) . عمدة

القاري شرح صحيح البخاري ·- بيروت : إحياء التراث العربي ·
- ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ / ٨٨٩م) منسوب خطأ إليه : **الإمامة والسياسة** ؛ تحقيق محمد طه الزيني ، ط. مؤسسة الحلبي ·
- ابن كثير ، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م) · **البداية والنهاية** ·- بيروت : دار المعارف . **تفسير القرآن العظيم** ؛ تحقيق عبد الرزاق المهدي ·- ط١ ·- بيروت: دار الكتاب العربي ، ١٤٢٢هـ /٢٠٠١م · **خلافة علي بن أبي طالب** «من كتاب **البداية والنهاية**) ترتيب وتهذيب محمد بن صامل السلمي ·- ط١ ·- الرياض : دار الوطن ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢ م ·
- المباركفوري، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبدالرحيم (ت ١٣٥٣هـ / ١٩٣٤م). **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي** ؛ تحقيق علي معوض وعادل عبد الموجود·- ط١ ·- بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م ·
- المزي ، جمال الدين أبو الحجاج يوسف (ت ٧٤٢هـ / ١٣٤١م) . **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**؛ تحقيق بشار عواد معروف ·- ط١ ·- دار الرسالة، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
- المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ / ٩٥٧م) . **مروج الذهب ومعادن الجوهر** ؛ تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ·- ط٥ ·- الرياض : مكتبة الرياض الحديثة ، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م ·
- مسلم ، مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت ٢٦١هـ / ٨٧٤م) . **الصحيح** ؛ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي·- ط٢ ·- بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ١٩٧٢م ·
- ابن النديم ، أبو الفرج محمد بن إسحاق (ت ٤٣٨هـ / ١٠٤٦م) . **الفهرست** ·- بيروت : دار المعرفة ·
- نعيم بن حماد ، نعيم بن حماد بن معاوية المروزي (ت ٢٢٩هـ / ٨٤٣م) . **الفتن** ؛

تحقيق مجدي بن منصور الشورى ٠- ط٠٣- بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م .

- الهيثمي ، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد (ت ٩٧٤هـ / ١٥٦٦م) . **مجمع الزوائد** ٠- القاهرة : دار الريان للتراث ، ١٤٠٧هـ .

- ياقوت الحموي ، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨م) . **معجم الأدباء** ٠- بيروت : دار إحياء التراث العربي . **معجم البلدان** ٠- بيروت : دار صادر ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .

- اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب (ت ٢٨٤هـ / ٨٩٧م) . **تاريخ اليعقوبي** ٠- بيروت: دار صادر .

ثانياً - المراجع الحديثة :

- أحمد ، لبيد إبراهيم، وإبراهيم نمير سيف الدين . **عصر النبوة والخلافة الراشدة**٠- ط٢ ٠- الرباط : مكتبة المعارف ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .

- الألباني ، محمد ناصر الدين . **سلسلة الأحاديث الصحيحة** ٠- ط٢ ٠- الرياض : مكتبة المعارف ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .

- أمحزون ، محمد . **تحقيق مواقف الصحابة من الفتنة من روايات الإمام الطبري والمحدثين** ٠- ط١ ٠- الرياض : دار طيبة ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م .

- البياتي ، منير حميد . **الدولة القانونية والنظام السياسي الإسلامي** ٠- ط١ ٠- بغداد : الدار العربية ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .

- جعيط ، هشام . **الفتنة جدلية الدين والسياسة في الإسلام المبكر** ٠- ط٣ ، دار الطليعة، ١٩٩٥م.

- حسين ، طه . **الفتنة الكبرى** (علي وبنوه) ، نشر ضمن كتاب (**إسلاميات طه**

حسين) ، ط. دار العلم للملايين .
- الخميس ، عثمان . **حقبة من التاريخ** .- ط١ .- الكويت : مركز الثقافة الإسلامية ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م .
- زيادة ، أسماء محمد أحمد . **دور المرأة السياسي في عهد النبي ﷺ والخلفاء الراشدين** .- ط١ .- دار السلام ، القاهرة ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م .
- سالم، السيد عبد العزيز . **تاريخ الدولة العربية** .- بيروت : دار النهضة العربية، ١٩٧١م .
- السلمي ، محمد بن صامل . **منهج كتابة التاريخ الإسلامي** .- ط١ ، دار طيبة .
- شراب ، محمد محمد حسن . **المعالم الأثيرة في السنة والسيرة** .- ط١ .- دمشق : دار القلم ، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م .
- الشريف ، أحمد إبراهيم . **دور الحجاز في الحياة السياسية العامة في القرنين الأول والثاني للهجرة** ، ط. دار الفكر العربي .
- عسيلان ، عبد الله . **كتاب الإمامة والسياسة في ميزان التحقيق العلمي** .- ط١ .- المدينة المنورة : مكتبة الدار ، ١٤٠٥هـ .
- العش ، يوسف . **الدولة الأموية والأحداث التي سبقتها ومهدت لها** .- ط٢ .- دمشق : دار الفكر ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٥م .
- العلياني ، علي بن نفيع . **عقيدة الإمام ابن قتيبة** .- ط١ .- الطائف : مكتبة الصديق ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.
- العمري ، أكرم ضياء . **عصر الخلافة الراشدة** .- ط١ .- المدينة : مكتبة العلوم والحكم ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م .
- العودة ، سليمان . **عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام** .-

ط١ ·- الرياض: دار طيبة ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، ص ١٩٤ .

- الغيث، خالد بن محمد . **استشهاد عثمان ﷺ ووقعة الجمل في مرويات سيف ابن عمر في تاريخ الطبري** ·- ط١·- جدة: دار الأندلس الخضراء، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

- فقيهي ، عبد الحميد علي . **خلافة علي بن أبي طالب** رضي الله عنه ، ماجستير غير منشورة ، الجامعة الإسلامية ١٥٠، المدينة النبوية ، ١٤١٢هـ .

- قدورة، زاهية . **عائشة أم المؤمنين** ·- ط٢ ·- بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٠م.

- كمال ، أحمد عادل . **الطريق إلى دمشق** ·- ط٢ ·- بيروت : دار النفائس ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

- ملحم ، عدنان محمد . **المؤرخون العرب والفتنة الكبرى** ·- ط١ ·- بيروت: دار الطليعة، ١٩٩٨م.

- النجار ، عبد الوهاب . **الخلفاء الراشدون** ·- بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .

- نور ولي ، عبد العزيز محمد . **أثر التشيع على الروايات التاريخية في القرن الأول الهجري** ·- ط١ ·- المدينة النبوية : دار الخضيري ، ١٤١٧هـ .

- الوشمي، صالح بن سليمان. **الآثار الاجتماعية والاقتصادية لطريق الحج العراقي على منطقة القصيم**·- ط١·- بيروت: مؤسسة الرسال ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

- الوهيبي ، محمد بن عبد الله. **اعتقاد أهل السنة في الصحابة** ·- لندن : المنتدى الإسلامي.

- اليحيى ، يحيى بن إبراهيم . **مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري** ·- ط١ ·- دار العاصمة ، ١٤١٠هـ .